اثر الفطرة الإنسانية في معرفة اللّه

بحث مقدم من
الدكتور مؤيد محمود حسن

Dr. Muyad Mahmoud Hassan

ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن سار على نهجه الى يوم الدين. أما بعد:

فالفطرة أحد أسباب المعرفة التي غرزها الله في النفس البشرية، وللفطرة في الإسلام أهمية تتجلى في ارتباطها الدائم بدعوة الرسل عليهم السلام وإنهم بعثوا لتكميل الفطرة، وان القرآن الكريم نبه على ما أودعه الله فيها من الإقرار بوجوده، فالإقرار بالخالق جل شأنه، والاعتراف بوجوده، من مستلزمات الفطرة .

وان السنة النبوية تناولت الفطرة من زوايا عدة، الزمت كل مسلم مراعاتها والعمل بها .

وهذا يلزم على الإنسان المؤمن مواكبتها وان يواظب على تمسكه بالفطرة أمام المحاولات الدائبة الرامية إلى تشويه الفطرة، وصرفها عن جادة الصواب، وجرفها عن شاطئ الأمان .

فبينت في بحثي هذا المعنى اللغوي والإصطلاحي للفطرة، وكذلك أدلتها من الكتاب والسنة، وبينت أهمية الفطرة ودلالاتها على وجود الله تعالى ،وأن الرسالات السماوية جاءت موافقة لها مؤيدة لها منطلقة منها،وبينت الشعور بوجود الخالق بأنه حقيقة ثابتة وانه من الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وبينت بالأدلة العقلية والتي هي من الفطرة على وجود الله سبحانه.

وبينت أثار الفطرة على عقيدة المسلم فيما يتعلق بعلاقة الفطرة بالإيمان وتوحيد الله جل وعلا عموما وان الفطرة لاتجد الا ان تؤمن بالله تعالى لأن كل ما حول الإنسان من مخلوقات وموجودات يدعوه

الى ان يلتجأ الى الله رب العالمين الذي هو رب كل شيء ومليكه، وكذلك يدعوه لأن يعبده ويوحده.

Research Summary: The impact of humanitarian instinct

In the knowledge of God Praise be to Allah and peace and blessings be upon the Messenger of Allah and on his family، companions and walked on his approach to the Day of Judgment. After: Valaftrh one of the reasons that Grzha knowledge of God in the human psyche، and the encroachment of Islam in importance is reflected in association with permanent invitation of the apostles - peace be upon them - and they were sent to supplement instinct، and that the Koran alerted to what God deposited the acknowledgment of its existence، the Creator The recognition Gel would، and the recognition of its existence، from kits instinct. And the Sunnah of the Prophet dealt instinct from several angles، obliges every Muslim observance and work out.

This needs to be insured on human Moakpthawan keep the adherence to the innately perpetual attempts to distort the instinct، and disbursed for the right path، and shelf Beach safety. She stated in my research this linguistic meaning and idiomatic for encroachment، as well as evidence from the Quran and Sunnah، and showed the importance of instinct and implications of the existence of God، and the heavenly messages approval came her pro her flying them، and showed a sense of the existence of the Creator as an established fact and it's instinct that Allah gave people the and showed evidence of mental and which are common on the existence of God. It showed raised on the doctrine of common sense with regard to the relationship of the Muslim faith and instinct Oneness of God Almighty and that instinct is generally to Atjd but believes in God because all PERI-human creatures of assets and calls That fall back to Allah، the Lord of the Worlds، who is the head of everything and Sovereign، as well as calls and united in worship.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله المتصف بصفات الكمال، المنعوت بنعوت الجلال والجمال، المنفرد بالإنعام والأفضال، والعطاء والنوال، المحسن المجمل على ممر الأيام والليالي .

واشهد أن محمد عبده ورسوله، الداعي إلى اصح الأقوال، وأسد الأفعال المحكم للأحكام، المميز بين الحرام والحلال وعلى آله وصحبه ومن سار بنهجه إلى يوم الدين . أما بعد ..

فالفطرة أحد أسباب المعرفة التي غرزها الله في النفس البشرية، سأتطرق اليها وبيان أهميتها في الكتاب والسنة لذلك فمن المعلوم أن للفطرة في الإسلام أهمية تتجلى في ارتباطها الدائم بدعوة الرسل – عليهم السلام – وإنهم بعثوا لتكميل الفطرة، وان القرآن الكريم نبه على ما أودعه الله فيها من الإقرار بوجوده وكمال صفاته، فالإقرار بالخالق جل شأنه، والاعتراف بوجوده، من مستلزمات الفطرة .

وان السنة النبوية تناولت الفطرة من زوايا عدة، الزمت كل مسلم مراعاتها والعمل بها .

وإن الحياة بما تفرزه من معطيات جديدة، ومتطلبات حيوية ضرورية، يلزم على الإنسان المؤمن مواكبتها مع الحفاظ على هويته، وان يواظب على تمسكه بالفطرة أمام المحأولات الدائبة الرامية إلى تشويه الفطرة، وصرفها عن جادة الصواب، وجرفها عن شاطئ الأمان .

لذلك تناولت بعض المسائل المتعلقة بالفطرة التي رأيت إن المسلم بحاجة للإحاطة بها، لتزيل عنه اللبس الكائن في بعض تفريعاتها، وتصلح إن تكون دليلاً ومعيناً في حياته وسط زحمة تلاطم الأفكار، وتصارع الرغبات، وشيوع الأهواء وتنوع المذاهب .

ولذلك سأقوم في بحثي هذا بمحاولة بسيطة في خدمة العلم الشرعي من خلال تبيان ((اثر الفطرة الإنسانية في معرفة الله))، وتوضيح ما فيه من أمور تهم الفرد في معرفة الفطرة الإنسانية، ويحتوي على ثلاثة مباحث ومقدمة وخاتمة، وهي كما يلي:

المبحث الأول: مفهوم الفطرة وأدلتها من الكتاب والسنة .

المبحث الثاني: إثبات وجود الله سبحانه وتعالى .

المبحث الثالث: اثر الفطرة على عقيدة المسلم .

ثم الخاتمة ونتائج البحث .

أسأل الله تعالى إن ييسر لي أتمامه على أكمل وجه وإنه وليّ ذلك والقادر عليه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

المبحث الأول

مفهوم الفطرة وأدلتها من الكتاب والسنة

المطلب الأول: تعريف الفطرة لغةً:

الفطرة لغةً: من مادة فطر، والفاء والطاء والراء أصل صحيح، يدل على فتح شيء وإبرازه(١) .

واصل الفطر الشق طولاً(٢) .

وتأتي بمعنى الشق، يقال: فطره: أي شقه، وتفطر الشيء: انشق، وكذلك انفطر وفطرته فانفطر، ومنه فطر ناب البعير: طلع فهو بعير فاطر، اي فيه تشقق(٣) .

قال عنترة(٤):

وسيفي كالعقيقة فهو كمعي سلاحي لا أفل ولا فطارا

وتأتي بمعنى الخلق، يقال: فطر الله الخلق، اي: خلقهم وأنشأهم، يقال: فطر فلان كذا فطراً، وافطر هو فطوراً، وانفطر انفطاراً، قال تعالى: ﴿ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴾ الملك: ٣.

إي: اختلال ووهي فيه، وذلك قد يكون على سبيل الفساد وقد يكون على سبيل الصلاح، قال جل جلاله: ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ١٨ ﴾ المزمل: ١٨ .

والفطرة: الابتداء والاختراع والخلقة، وفي التنزيل ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ الأنعام: ١٤، قال ابن عباس –

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة ، أبي الحسن احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٥٩ هـ) ، تحقيق: عبد السلام هارون ، دار الكتب العلمية – بيروت ، (د . ت): ٢ / ٢١٧ ، أساس البلاغة ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، تحقيق: عبد الرحيم محمود ، مطبعة اورفاند بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٣ ، وهي طبعة مصورة على طبعة دار الكتب المصرية التي طبعت سنة ١٣٤١ هـ: ٣٤٤ .

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم بن حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) أعده للنشر واشرف على الطبع: د . محمد احمد خلف الله مكتبة لا نجلو المصرية ، (د . ت): ٥٧٥ ، مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، (ت ٧٢١ هـ) ، تحقيق: محمود خاطر ، الطبعة الأولى ، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م) مادة (فطر) ٥٠٦ – ٥٠٧ .

(٣) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن عماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) ، تحقيق: احمد عبد الغفور عطا ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م): مادة (فطر) ٢ / ٧٨١ .

(٤) البيت من البحر الوافر: ينظر: ديوان عنترة بن شداد العبسي ، تحقيق: محمد سعيد مولوي المكتبة الإسلامي ، دمشق (د . ت): ٨٧ .

رضي الله عنهما -: ((كنت لا ادري ما (فاطر السموات) حتى أتاني إعرابيان يختصما في بئر فقال احدهما: أنا فطرتها))[1]، اي: أنا ابتدأتها .وفطر الله الخلق: وهو إيجاده الشيء وإبداعه على هيئة مترشحة لفعول من الأفعال فقوله تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الروم: ٣٠.

فإشارة منه تعالى إلى ما فطر اي:أبدع وركز في الناس من معرفته تعالى، وفطرة الله هي ما ركز فيه من فوقه على معرفة الإيمان وهو المشار إليه بقوله تعالى:﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴾ الزخرف: ٧٨ - ٧٩.

وقال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فا طر: ١، وقال سبحانه ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ الأنبياء: ٥٦، وقال تبارك اسمه:﴿ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ﴾ طه: ٧٢. اي: أبدعنا وأوجدنا يصح إن يكون الانفطار في قوله:﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴾ المزمل: ١٨، إشارة إلى قبول ما أبدعها وأفاضه علينا منه[2] .

والفطرة: الخلقة التي يخلق عليها المولود في بطن أمه، وقد فطره يفطره بالضم فطراً، اي: خلقه[3] .

قال ﷺ: ((كل مولود يولد على الفطرة))[4]، والفطرة: الحالة منه كالجلسة والركبة، والمعنى: انه يولد على نوع من الجبلة والطبع المتهيئ لقبول الدية، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها، وإنما

(١) شعب الإيمان ، أبو بكر احمد بن الحسين البيهقي ، (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٠ هـ: ٢ / ٢٥٨ رقم (١٦٨٢) .

(٢) ينظر: العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي ، (ت ١٧٥ هـ) ، تحقيق: د . وجدي المخزومي ، د . إبراهيم السامرائي – بغداد ، الطبعة الأولى ، طبعت الأجزاء من سنة ١٩٨٠ م: مادة (فطر) ٧ / ٤١٨ ، المفردات: ٥٧٥ .

(٣) ينظر: لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت ٧١١ هـ) ، الطبعة الأولى ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ١٩٦٨ م ، مادة (فطر) ٥ / ٥٦ .

(٤) متفق عليه ، من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦ هـ)، تحقيق: د . مصطفى ديب البغا ، الطبعة الثالثة ، دار ابن كثير واليمامة ، بيروت (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م): ١ / ٤٦٥ رقم (١٣١٩)

يعدل عنه من يعدل لآفة من آفات البشر والتقليد، ثم تمثل بأولاد اليهود والنصارى في إتباعهم لآبائهم والميل إلى أديانهم عن مقتضى الفطرة السليمة .

وقيل: معناه كل مولود يولد على معرفة الله والإقرار به، فلا تجد أحداً إلا وهو يقر بان له صانعاً، وان سماه بغير اسمه، أو عبد معه غيره[1] . والفطر: حلب الناقة بالسبابة والإبهام أو بإصبعين[2] .

ومادة (فطر) لم ترد بهذه الصيغة – اي بوزن فعلة – إلا في آية واحدة هي قوله تعالى:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الروم: ٣٠.

وفي اللغة العربية تدل صيغة ((فعلة)) على المصدر الدال على هيئة الفعل ونوعه، وعليه فان كلمة ((فطرة)) التي ترد بشأن الإنسان وعلاقته بالدين ((فطرة الله التي فطر الناس عليها)) تعني تلك الهيئة التي خلق بها الإنسان، اي: أن الله قد خلق الإنسان بهيئة خاصة، بما فيها تلك الخصائص التي أودعها فيه متميزاً عن خلقه، وهي فطرته .

ومن هذا العرض يتبين لنا: إن الفطرة هي تلك القوة التي أودعها الله في الإنسان وأبدعه عليها، وهي التي تدفعه نحو الله تعالى، والقيم والأخلاق والسيرة الفاضلة .

واللفظ له ؛ صحيح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت (د . ت): ٤ / ٢٠٤٧ رقم (٢٦٥٨)

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ، أبو السعادات مجد الدين بن أبي الكرم محمد بن محمد عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثر ، (ت ٦٣٠ هـ) ، تحقيق: طاهر احمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي ، الطبعة الأولى ، المكتبة العلمية ، بيروت ، (١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م): ٣ / ٤٥٧ .

(٢) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، احمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ ، (ت ٧٧٠ هـ) ، تصحيح: مصطفى السقا ، الطبعة الأولى ، مطبعة مصطفى ألبابي الحلبي ، مصر ، ١٣٢٢ هـ: ٢ / ٤٧٦ .

المطلب الثاني: تعريف الفطرة اصطلاحاً

لا يخرج المعنى الاصطلاحي للفطرة عن المعنى اللغوي لها، وقد وضع العلماء للفطرة تعريفات عدة لا تخرج عن الاستخدام اللغوي .

ومن ذلك ما قاله القرطبي: ((الفطرة هي الخلقة التي خلق عليها المولود من المعرفة بربه تعالى))[1]،وفي هذا الإطار عرف الجرجاني الفطرة بقوله: ((الفطرة هي الجبلة المتهيئة لقبول الدين))[2]،ونقل المنأوي، عن ابن الكمال تعريفه لها: بأنها الجبلة المتهيئة لقبول الدين[3] .

وقال الراغب: هي ما ركب الله في الإنسان من قوته على معرفة الإيمان[4]،ومن تتبع أقوال العلماء في تعريف الفطرة، وجدت إن أقوالهم لا تخرج عن المعاني الثلاثة الآتية[5]:

١- الإسلام .

٢- التوحيد .

٣- الاستعداد لقبول الحق .

وهي مستنبطة من تفسير لفظة (الفطرة) في القرآن الكريم، وسيتم بحثها في بشكل موسع في موضعه إن شاء الله تعالى .

وقيل في تعريفها أيضا: التعامل مع قضايا العصر، على وفق النواميس، والسنن الإلهية، والقواعد الربانية[6].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي ، (ت ٦٧١ هـ) ، تحقيق: احمد عبد العليم البردوني ، الطبعة الثانية ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٣٧٢ هـ: ١٤ / ٢٤ .

(٢) التعريفات: أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف ، (ت ٨١٦ هـ) ، تحقيق: إبراهيم الابياري ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ١٤٠٥ هـ – ٩٥ .

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، (ت ١٠٣١ هـ) ، تحقيق: د . محمد رضوان الداية ، الطبعة الأولى ، دار الفكر المعاصر – دمشق ، دار الفكر – بيروت ، ١٤١٠ هـ: ٥٦٠ .

(٤) المفردات: ٥٧٥ .

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٤ / ٢٧ .

(٦) تحديات من القرن الحادي والعشرين في ضوء فقه الفطرة ، فتحي بكن ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م): ٩ .

وقيل: هي حالة التوحيد وعدم الشرك التي خلق الله الإنسان عليها ابتداءً، والتهيئة لقبول ما يطلبه الشرع في توجيه غرائز الإنسان ومشاعره وخصائصه الجسدية والنفسية[1]،وهذا التعريف، جمع بين ما ذهب إليه المفسرون، من إن الفطرة هي التوحيد، وإنها أيضاً الجبلة والاستعداد .

وقيل: الاستعداد للخير الذي جبل عليه الإنسان، ويؤدي في النهاية إلى جعل صاحبه من أهل التوحيد وهو أساس الإسلام واصله[2]، وهذا التعريف قائم على الفطرة هي التوحيد كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين.

وقيل: هي تلك الحالة الواعية في شخصية الإنسان التي من خلالها يهتدي إلى الأشياء، ويحب الخير والعدل والإحسان، والإيمان بالله تعالى،فهي مجموعة من الأمور كانت ولا تزال تعرف باسم الإنسانية، اي أنها أصلية في الإنسان وليست مكتسبة، وهي اقرب إلى الواعي، فالإنسان يستطيع أن يعرف الشيء الذي يعرفه الشيء من خلال الفطرة التي تتعلق بأمور نطلق عليها: الأمور الإنسانية، باعتبارها أمورا تتجأوز شؤون الحيوان[3] .

والنتيجة المستخلصة هي: أن الفطرة في الإنسان هي خلقته بكيفية معينة، تنطوي على مجموعة من الميول والمعارف، وهذه الميول والمعارف ركبت وركزت في أعماق الإنسان، بمقتضى خلقته، فتكون الفطرة هي مقتضى الخلقة، والأمور الفطرية، هي ما تقتضيه خلقة الإنسان، بما هو إنسان، لو خلي وطبعه، فالمقصود من ((فطرة الله)) التي فطر الناس عليها هو الحال، أو الكيفية التي خلق الناس وهم متصفون بها، والتي تعد من لوازم وجودهم، ولذلك تخمرت طينتهم بها في أصل الخلق، وهي من الألطاف التي خص الله تعالى بها الإنسان، من بين جميع المخلوقات، إذ أن الموجودات الأخرى – غير الإنسان – أما أنها لا تملك مثل هذه الفطرة المذكورة، وأما إن لها حظاً ضئيلاً منها، ويمكن الخروج من هذه الأقوال بان الفطرة هي: الخلقة المهيئة في الإنسان لقبول الخير والتوحيد .

---

(١) آيات الأمن في القرآن الكريم – دراسة وتحليل ، عبد السلام داود سويدان الكبيسي ، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية في جامعة بغداد ، (١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م): ٨٩ .

(٢) منهج حماية العقيدة الإسلامية ، عبد الغني حيد فارع ، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية في جامعة بغداد ، (١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م): ٥٨ .

(٣) علم النفس العام ، د . العيسوي ، دار العجالة ، مصر ، ١٩٣٦: ٤٨ .

المطلب الثالث: أدلة الفطرة من القرآن الكريم:

دل القرآن الكريم على الفطرة صراحة وتعريضاً، فمن الآيات الصريحة الدالة قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الروم: ٣٠،في هذه الآية الشريفة أمر الهي تضمنه الخطاب القرآني للإنسان اي إنسان، يخاطبه المولى تعالى قائلاً: فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنفية ملة إبراهيم – عليه السلام –الذي هداك لله لها، وكملها لك غاية الكمال، ولازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها، فانه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا اله غيره[1]،ولكي لا يتيه الإنسان في مجالات التشكيك، ويتهرب من مواجهة الحقيقة، ويتنصل من المسؤولية الجسيمة الملقاة على عاتقه فيما يتعلق بأداء ما أمر به من طاعته لخالقه تعالى: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الروم: ٣٠،ومع تعدد آراء المفسرين في معنى هذه الآية، إلا أنها تلتقي في ما يأتي[2]:-

معناه لا تبدلوا خلق الله، فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها، فيكون خبراً بمعنى الطلب، كقوله تعالى: ﴿ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ آل عمران: ٩٧.

وهو معنى حسن صحيح رجحه كثير من المفسرين[3] .

وقال آخرون: هو خبر على بابه، ومعناه انه تعالى سأوى بين خلقه كلهم في الفطرة، ولا تفأوت بين الناس في ذلك، ولهذا قال ابن عباس – رضي الله عنهما -: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الروم: ٣٠. اي: دين الله[4] .

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم المسمى بتفسير ابن كثير ، لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر كثير القرشي الدمشقي ، (ت ٧٧٤ هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، (١٤٠١ هـ): ٣ / ٤٣٣ .

(٢) ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، (د . ت): ٤ / ٢٢٤ .

(٣) منهم ابن كثير ، والشوكاني ، ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣ / ٤٣٣ ، وفتح القدير: ١ / ٢٤٤ .

(٤) ينظر: جامع البيان: ٢١ / ٤١ ، وتفسير القرآن العظيم: ٣ / ٤٣٣ .

والإشارة إلى الفطرة تصريحاً قد ورد في أكثر من موضع في القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ الأعراف: ١٧٢

أن الناظر في الآية الكريمة يرى وبكل وضوح أن الله سبحانه وتعالى قد جمعنا في عالم الذر من ظهور آبائنا وأشهدنا على أنفسنا شهادة شهدناها بان الله عز وجل هو ربنا، وهذه الشهادة باقية فينا إلى أن نلقاه سبحانه يوم القيامة، وهذه الشهادة لا تنفك عنا مهما حصل لنا منذ ذلك الحين وحتى نلقاه سبحانه، سواء آمنا أو كفرنا، وسواء صلحنا أم فسدنا وسواء كنا من أهل الفترة أم من أصحاب الرسل[1]،والدليل على ذلك قوله تعالى في الآية على سبيل التعليل والتسبيب:چ تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ الأعراف: ١٧٢.

اي: كي لا يأتي احدنا يوم القيامة قائلاً: إني غفلت أو إني نسيت .

وهذا الأمر الذي أشهدنا عليه الله إما إن يكون من قبيل العلم والعقل قد فرض علينا في عقولنا فنحن لا محالة نذكره من خلقنا ونعقله بالصدفة فلن نغفل عنه ولن ننساه، وإما إن يكون قد جعل في خلقنا وفطرتنا وهو باق فينا لا يفارقنا حتى نلقاه سبحانه وتعالى ولا علاقة له بالعقل، بل يكون في القلب والوجدان، فيشعر به الإنسان، كل إنسان بعد أن يولد في هذه الدنيا بفترة، ومن ثم يدركه العقل ويحس به الإنسان حين يصبح مميزاً[2]،ولمعرفة اي الأمرين هو نقول: أن الله عز وجل يقول: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ النحل: ٧٨، فالآية صريحة اذاً بان الإنسان أول ما يولد لا يكون عنده علم البتة، والعلم لا يكون ألا علماً ضرورياً، أو علماً بالفطرة، اي: يحتاج منا إلى تفكر وتأمل الوقائع التي نريد أن نحكم عليها ونصدر بصددها الإحكام، وكل من العلمين مكتسب وليس فطرياً،إذ حتى العلم الضروري لا يكون إلا بعد الولادة بفترة، اي: عندما يصبح الإنسان مميزاً أو مفكراً، ولا خلاف بأنه يولد على غير ذلك، وكذلك العلم الذي

(١) ينظر: فتح القدير: ٢ / ٢٦٣ – ٢٦٤ .

(٢) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الثناء شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله الالوسي البغدادي (١٢٧٠ هـ) ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، (د . ت): ٣ / ٢١٠ و ٤ / ١٧٧ .

يحتاج إلى نظر وتأمل، فانه لا يكون إلا عند العقل، اذاً فالشهادة التي شهدناها ليست من قبيل العلم، وليست من قبيل العقل[1] .

ولما كان الإنسان لا يمكنه أن يدرك أو يميز إلا من خلال العقل أو الغرائز ولا ثالث لهما، لم يبق إلا أن تكون هذه الشهادة التي شهدنا عليها لابد أن تكون غرائزية، اي: فطرية فطرنا الله عليها وجعلها في خلقتنا لأمر أراده هو، فلننظر في الآية ولنمعن النظر لعلنا نهتدي إلى ذلك السبب الذي من اجله أشهدنا على ربوبيته[2]،والفطر – كما قال أهل اللغة – الابتداء والاختراع، والفطرة منه الحالة، كالجلسة والركبة، والمعنى ان يولد على نوع من الجبلة والطبع المتهيء لقبول الدين[3] .وهذا قول حق والله اعلم، آذ أن الله تعالى في الآية قال: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾ الأعراف: ١٧٢ والغاية من ذلك يبينها قوله تعالى: (ان)،وهذا يقتضي أن هذا الأمر الذي استودعه الله الإنسان لا يمكن بحال من الأحوال أن يغفل عنه أو ينساه، فلم يبق إلا إن يكون مجبولاً عليه وهو شيء من تكوينه الخلقي فالأمور العقلية يمكن أن يغفل عنها الإنسان، أما الجبلة والفطرة فليس كذلك فهي جزء من الإنسان وليست طارئاً عليه مثل العقل والغاية من هذا الأمر الفطري هي أن يكون الإنسان مستعداً مهيئاً لقبول الدين الذي سوف يبعثه الله على رسله، والعقيدة التي بعثت على كل الرسل كانت عقيدة واحد هي ملة التوحيد، ملة إبراهيم وعيسى وموسى – عليهم السلام – وهي تفرد الله بالربوبية والإلوهية والعبادة .هذا هو عينه الذي فطرنا الله عليه وهيئنا له، قال تعالى:(ألست).

فإذا ما بعث الله رسالة التوحيد إلى إنسان فانه يكون حينئذ شاعراً باحتياجه لمثل هذا، فهو قد توطئت نفسه منذ خلق على البحث وانتظار مثل هذا الذي بعث الله، فهو خلق لهذا، ولهذا خلق، فسرعان ما تتجأوب نفسه وغريزته مع مثل هذا الذي اقتنع العقل فأفحمه، وهز الفؤاد فخلعه استجابة عقلية بالحجة والمنطق

---

(١) ينظر: أحكام القرآن ، لابي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) جمعه الإمام أبو بكر احمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي النيسابوري ، (ت ٤٥٨ هـ) عرف الكتاب وكتب تقدمته: محمد زاهد ين الحسن الكوثري ، (ت ١٣٧١ هـ) ، حققه: عبد الغني عبد الخالق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٥ م: ١ / ٣٠٠ ؛ أرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٨٢ هـ) دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، (د . ت): ٥ / ١٣١ .

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وإسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي لأبي سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي الشافعي (ت ٦٨٥ هـ) ، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، (١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م): ٣ / ٤١٣ .

(٣) ينظر: لسان العرب: مادة (فطر) ٥ / ٥٦ .

واستجابة فطرية من غريزة التدين والشعور بالنقص والعجز والاحتياج، وعندها يقتنع العقل وتأيده الفطرة ويطمئن القلب[1]، وإذا ما عرض على الإنسان الشرك بالله سواء كان من أب أو أم من أي إنسان كان، فانه علأوة على أن العقل يرفضه ويأباه لان الشاهد في الكون والإنسان والحياة كلها يشهد أن لا اله ألا الله، فان فطرته تأباه كذلك، فإذا ما حرف عنه لسبب من الأسباب فان فطرته تبقى تنازعه فيه وترفضه حتى يلقى الله بلا حجة عقلية وسيجد حينها نفسه شاهداً عليه لا معه، قائلة: يا رب إنني نازعته شركه ولم اقبله، وكنت اشعر بهذا الذي هو من تكوينه[2] يقول الله عز وجل في نهاية الآية: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ الأعراف: ١٧٢ وهذه الآية أيضاً تشهد أن الذي شهد عليه الإنسان هو شهادة جبلية وليس من قبيل العقل والعلم .

إذ لن يقبل الله من الإنسان أتباع آباء في شركهم، ذلك أن كل نفس تحس وتشعر بان الله هو وحده رب هذا الكون ورب كل شيء، فلا يؤخذ ذلك من احد ولا يحسه احد في احد، بل كل إنسان يحسه في نفسه، وتطمئن له نفسه هو، فإذا أخذ غيره، اي: أخذ الشرك تقليداً، فلن تقبله الفطرة، أو الشهادة الأولى بل ترفضه، وهذا أيضاً لن يجد لنفسه شاهداً بل سيجد كل شيء فيه شاهداً عليه لا معه[3] .

ففطرة الإنسان فطرة سوية سليمة وهي في ذاتها منة من الله على المؤمنين، فهي تهيئة من الله للإيمان وليس للكفر، بل هي لا تقبل إلا الإيمان بالله الواحد وترفض الكفر والشرك، فهذا فضل من الله ومنة على الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

المطلب الرابع: أدلة الفطرة من السنة النبوية الشريفة:

حفلت السنة المطهرة بكثير من الشواهد الصريحة إلى إن الإسلام هو دين الفطرة، ومن ذلك: ما روى البخاري ومسلم في تصحيحيهما عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ ليلة اسري به أُتي بإناءين في احدهما لبن، وفي الآخر خمر، فقال: اشرب أيهما شئت، فاخذ اللبن فشربه، فقيل أخذت الفطرة، أما انك لو

(١) ينظر: أرشاد العقل السليم: ٥ / ١٣١ – ١٣٢ .

(٢) ينظر: معالم التنزيل المعروف بـ(تفسير البغوي) لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ، (ت ٥١٦ هـ) ، تحقيق: خالد العك ، ومروان سوار ، الطبعة الثانية دار المعرفة ، بيروت ، (١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م): ٣ / ٧٩ ؛ أرشاد العقل السليم: ٥ / ١٣٢.

(٣) ينظر: زاد المسير في علم التفسير ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي ، (ت ٥٩٧ هـ) الطبعة الثالثة ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، بيروت ، (١٤٠٤ هـ – ١٩٩٠ م): ٣ / ١٧٣ و ٤ / ٤٧٥ .

أخذت الخمر غوت أمتك)[1] وفي لفظ: (الحمد لله الذي هداك للفطرة، لو آخذت الخمر غوت أمتك)[2] .وفي لفظ: (أصبت، أصاب الله بك أمتك على الفطرة)[3] .وهذا الحديث مدار موضوعنا هذا، فقد بين فيه النبي (ﷺ) ثلاث فوائد:-

الأولى: أن الإنسان مفطور على أشياء كثيرة، ركب عليها، وهي ما يسمى بـ (الفطرة) .

فالفطرة: هي ما جبل عليه الإنسان في أصل الخلقة من الأشياء الظاهرة والباطنة، تلك الأشياء التي هي من مقتضى الإنسانية، والتي يكون الخروج عنها، أو الإخلال بها، خروجاً عن الإنسانية، أو إخلالاً بها .

وهذا المعنى يفهم من كلام كثير من الأئمة، منهم ابن القيم – رحمه الله – إذ يقول: ((والفطرة فطرتان: فطرة تتعلق بالقلب، وهي معرفة الله ومحبته، إيثاره على ما سواه، وفطرة عملية، وهي هذه الخصال (يعني المذكورة في حديث الفطرة خمس .....)[4] .

فالأولى: تزكي الروح، وتطهر القلب . والثانية: تطهير البدن))[5] .

الثانية: إن الرسالات السمأوية جاءت موافقة للفطرة، مؤيدة لها منطلقة منها، ولذلك كان الإسلام دين الفطرة، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الروم: ٣٠ ويعبر عن ذلك في الحديث شربه ﷺ للبن، فهو عبارة عن الإشباع الصحيح، والمنهج المنسجم مع الفطرة، وفي اللبن من الغذاء، والصحة، واللذة، والغناء عن غيره ما فيه، حتى قال فيه النبي ﷺ في حديث ابن عباس – رضي الله عنهما -: ((انه ليس شيء يجزي مكان الطعام أو الشراب غير اللبن))[6] .

---

(١) صحيح البخاري ، ٣ / ١٢٦٩ (٣٢٤٥) ؛ وصحيح مسلم: ١ / ١٥٤ رقم (١٦٨) من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – .

(٢) صحيح البخاري: ٤ / ١٧٤٣ (٤٤٣٢) ؛ وصحيح مسلم: ١ / ١٥٤ رقم (١٦٨) من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – .

(٣) صحيح مسلم: ١ / ١٥٠ رقم (١٦٤) من حديث انس – رضي الله عنه – .

(٤) صحيح البخاري: ٥ / ٢٢٠٩ ، رقم (٥٥٥٠) و ٥ / ٢٣٢٠ رقم (٥٩٣٩) ، وصحيح مسلم ١ / ٢٢١ و ٢٢٢ رقم (٢٥٧) .

(٥) تحفة المولد: ١٦١ .

(٦) سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي (ت ٢٧٩ هـ) ، تحقيق: احمد محمد شاكر وآخرين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د . ت): ٥ / ٥٠٦ رقم (٣٤٥٥) ، وقال الترمذي: حديث حسن .

الثالثة: أن ثمة وسائل أخرى، يمكن أن يسلكها الإنسان، وهي معارضة الفطرة، مخالفة لها، ويمثلها الخمر في الحديث، فهو رمز عن الإشباع المنشرف، وسلوك الطريق، المصادمة للفطرة، وفي الخمر من الخبث، والطيش، والرجسية ما فيها، فهي تغتال العقول، والأموال، والأديان، والأبدان .

المبحث الثاني

إثبات وجود الله سبحانه وتعالى وقد اشتمل على مطلبين

المطلب الأول: وجود الخالق حقيقة ثابتة والشعور به أمر فطري:

أول شعور في أعماق الإنسان إذا تأمل في نفسه وفي الكون من حوله، شعوره بوجود قوة كبرى مهيمنة على الكون، تمنحه التدبير والتنظيم، وتتصرف فيه بالحياة والموت، والبناء والفناء، والتغير والتطور، والحركة والسكون، وجميع أنواع التغييرات الحكيمة التي تجري فيه .

إن كثير من علومنا ومعارفنا، ليست لها دليل في أنفسنا غير شعورنا الفطري الوجداني بها، ومهما تقدمت العلوم والمكتشفات، فإنها لا تزيدنا عنها شيئاً غير ما توصلنا إليه بفطرتنا فمن أمثلة ذلك .

انسياق الطفل الحديث الولادة بفطرته الأولى إلى ارتضاع ثدي أمه، دون أن يتعلم ذلك من معلم، ودون إن يدركه بدليل عقلي، أو حس ظاهر .

والأم تشعر بعاطفة الأمومة، سواء علمت إن السر في ذلك حفظ الطفل بالرعاية والتربية حتى يصبح قادراً على الاستقلال بنفسه، أو لم تعلم .

كما إننا جميعاً مسوقون بإحساس الفطرة والغريزة إلى مطالب عيشنا، أو لم ندرك الغرض من وراء هذا الإحساس .

ثم السنا نشعر في داخلنا بالعواطف والوجدانيات، كالحب والبغض، والرغبة والكراهية ؟ !

فما الدليل على وجودها فينا وهي متغلغلة في ذواتنا ؟ !

هل نستطيع أن نقيم عليها دليلاً أكثر من إننا نشعرها وهي حق لا شك فيه ؟

أن الشعور بها دليل على وجودها، ولكن كيف هي موجودة ؟ هنا نحاول أن نبحث[1] !

ومن هذه الإحساسات الفطرية الصادقة فينا، إحساس الإنسان، بوجود الخالق وتلهفه دائماً لمعونته وإمداداته، وشعوره، بحاجة هذا الكون الكبير – في نظامه واتقانه، وما فيه من إبداع، وحياة وموت – إلى قدرته وعلمه وحكمته سبحانه .

انه شعور مشترك بين جميع الناس: يقوم في نفس الطفل الصغير، والإنسان البدائي، والإنسان المتحضر، والجاهل والعالم، والباحث والفيلسوف، والعبقري والمغن، والخبير في المعمل، كل هؤلاء يشعرون

(١) ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني ، الطبعة الثانية عشر ، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م .

بشعور مشترك أن الله حق أن القوة القابضة على ناصية كل شيء، العالمة بكل شيء، الحكيمة المريدة، لا شك فيها .

هذه هي صبغة الله، في كل مخلوق مدرك، وفطرته التي فطر الناس عليها، وفي الإشارة إلى هذه الحقيقة عند الله، قال تعالى في القرآن الكريم – حكاية عن الرسل –: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ إبراهيم: ١٠ .

أفي الله شك ؟ أي شك في وجود الله ولا توحيده، اذ الاستفهام إنكاري[1] .

وإعلان عن هذه الفطرة الوجدانية القائمة في الأنفس المدركة، قال تعالى: ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ البقرة: ١٣٨ .

أنها فكرة لا تنطمس الا في نفس من بالغ في الانحراف من الناس بدافع غير أخلاقي، ليرضي شيئاً في نفسه فخشي على مرآة فطرته الصافية، وشد عصائب الجهل والفساد على حسه المضيء، وهكذا فقد تظلم مرآة الفطرة في الإنسان، بدخان نار الشهوات، وبعض الغرائز النفسية العاتية المستكبرة، أو بسحب الشكوك المادية، فتختفي عنها بعض الحقائق الظاهرة في الكون[2] .

المطلب الثاني: الأدلة العقلية على وجود الله سبحانه وتعالى:

الدليل الأول: دليل الإلزام العقلي بين الوجود والعدم:

١- الأصل في الخالق الوجود فوجوده واجب .

٢- والأصل في الكون العدم فوجوده ممكن .

٣- ولا يمكن إن يكون السبب في إيجاد الممكن ألا واجب الوجود . ونسير في هذا الدليل على أربعة مراحل:

المرحلة الأولى من الدليل: لا يشك عاقل في الدنيا بان الوجود يقابله العدم، وانه لا ثالث بين الوجود والعدم، ولا ثالث وراء الوجود والعدم .

هذان إثنان إذا ثبت احدهما انتفى الأخر لا محالة، وإذا انتفى احدهما ثبت الآخر لا محالة .

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، المؤلف جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر ابو بكر الجزائري ، الطبعة الخامسة ، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م ، الجزء الرابع ن ص ١٠١ .

(٢) ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص ٨٩ .

وهنا نتسائل هل الوجود الذي يقابله العدم العام هو الأصل، أو العدم العام هو الأصل ؟

وللإجابة عن هذا التسائل: لابد إن نسلك مسلك افتراض، أن احدهما هو الأصل، ثم ننظر هل يتعارض معه – على انه الأصل – ما ينقضه أولاً ؟ . وعلى هذا فلنفرض أن الأصل لكل ما يخطر في الفكر، وجوده هو العدم .

ومعنى العدم: نفي ذات ما يخطر بالبال، ونفي صفاته، فلا ذات ولا قوة ولا أرادة ولا علم ولا حياة ولا أي شيء .

وبحسب هذا الافتراض نتسائل: كيف استطاع العدم – الذي هو الأصل – أن يتحول إلى الوجود ؟ السنا نشعر بوجود أنفسنا ؟ السنا نرى موجودات كثيرة من حولنا ؟ والعدم معناه كما عرفناه هو النفي العام لكل ما يخطر بالبال ؟ فكيف يأتي من هذا العدم العام ذوات وصفات وقوى، فتنطلق بنفس من العدم إلى الوجود، وانطلاقها لا يكون ألا بقوة، والمفروض أن هذه القوة عدم أيضاً[1] .

انه من المستحيل بداهة إن يتحول العدم بنفسه إلى الوجود، أو أن يوجد العدم أي شيء .

وقد جاءت الإشارة إلى ذلك في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ **الطور: ٣٥** ، أي خلقوا من غير خالق والجواب لم يخلقوا من غير خالق ولا هم خلقوا أنفسهم إذ الأول باطل فيما هناك شيء شيء موجود بغير موجد، والثاني محال أن المخلوق لا يوجد بل يخلق، فكيف يخلقون أنفسهم وهم لم يخلقوا بعد[2] .

وهكذا لو كان العدم هو الأصل العام لم يوجد شيء من هذه الموجودات التي لا حصر لها ؟ ولذلك كان علينا أن نفهم حتماً أن الأصل هو الوجود . وبهذا الدليل ثبت بشكل عقلي قاطع إنه لا يصح أن يكون العدم هو الأصل .

وحيث كان الأمر كذلك، فقد ثبت بشكل عقلي قاطع أيضاً: إن الأصل هو الوجود، لان الوجود – كما سبق – نقيض العدم ولا واسطة بينهما .

---

(١) ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص ١١٢ .

(٢) أيسر التفاسير للجزائري ، المؤلف أبو بكر الجزائري ، مصدر الكتاب ، موقع التفاسير http: / / www tfa fsir . com

ثم نقول: إن ما كان هو الأصل بين شيئين متناقضين لا يحتاج وجوده إلى تفسير أو تعليل، لأنه متى احتاج وجوده إلى تعليل لم يكن أصلاً، وإنما تطلب الأسباب والتعليلات، للأشياء التي ليست هي الأصل . وبهذا الاستدلال ظهر لنا بوضوح شيئان .

أ- إن الأصل هو الوجود .

ب- أن الأصل لا يتطلب في حكم العقل سبباً ولا تعليلاً أكثر من إن يقال: انه هو الأصل[1] .

المرحلة الثانية من الدليل: إذا كان الوجود هو الأصل لا محالة، فهل يمكن إن يكون لهذا الأصل بداية ؟ وهل يمكن أن يلحقه العدم؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول:

١- أن ما كان وجوده هو الأصل لا يصح عقلاً إن يكون لوجوده بداية، لان ما كان لوجوده بداية، فلابد إن يحتاج في وجوده إلى سبب أوجده، وما كان كذلك لا يمكن أن يكون وجوده الأصل .

٢- أن ما كان وجوده هو الأصل لا يمكن أن يلحقه العدم ؛ لان كل زمن لاحق نفرض أن يطرأ فيه العدم على ما أصله الوجود، نقول فيه أيضاً: لا يزال الوجود هو الأصل، ولا سبب لأن يطرأ عليه به العدم أبداً لأنه لا يطرأ العدم على أي موجود من الموجودات ألا بوصف أن يكون العدم فيه هو الأصل، وإنما انتفى ذلك في زمن ما بسبب من الأسباب، فهو ينتظر زوال السبب حتى يعود إلى أصله، وقد ثبت لدينا، إن العدم من حيث هو مستحيل أن يكون هو الأصل العام من الوجود .

ولذلك يستحيل عقلاً أن يطرأ العدم على وجود علمنا انه هو الأصل وإلى هذه الحقيقة جاءت الإشارة في قوله تعالى:﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ الفرقان: ٥٨.

فالحي الذي لا يموت هو من كان وجوده هو الاصل، كذلك حياته وصفات الكمال فيه، فلذلك لا يمكن ان يطرأ عليه العدم أو الموت[2] .

المرحلة الثالثة من الدليل: علمنا في المرحلتين السابقتين:

أ- أن الوجود من حيث هو يجب عقلاً أن يكون هو الأصل .

ب- أن ما كان وجوده هو الأصل، استحال أن يكون له بداية، وان يطرأ عليه العدم .

---

(١) ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص ١١٢ .

(٢) ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص ١١٣ .

والآن: فلنلق نظرة على الموجودات التي تقع تحت مجال إدراكنا الحسي في هذا الكون الكبير، لنرى هل تنطبق عليها فعلاً الحقيقة الأولى، وهي أن الأصل فيها لذاتها الوجود ؟ أو ينطبق عليها ضدها وهي أن الأصل فيها العدم ؟ وهنا تبدو لنا حقيقة: أننا لم نكن ثم كنا، ونحن صنف ممتاز التكوين في هذا العالم قال تعالى:﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ التين: ٤ .

وان الأشياء كثيرة كانت في طي العدم في أشكالها وصورها، ثم وجدت كما هو مشاهد لنا باستمرار . كما تبدو لنا صورة التغيرات الكثيرة الدائمة في كل جزء من أجزاء هذه المواد الكونية، التي نشاهدها، أو نحس بها، أو ندرك قواها وخصائصها .

فمن موت إلى حياة، ومن حياة إلى موت، ومن تغيرات في الأشكال والصور، إلى تغيرات في الصفات والقوى، وكل ذلك يصل في عقولنا وفق قوانين هذا الكون الثابتة التي استفدنا ها من الكون نفسه، إلا بالأسباب المؤثرة التي تحمل سر هذه التغيرات الكثيرة المتعاقبة في كل شيء من هذا الكون، على اختلاف جواهره وصفاته، سواء منها المتناهي في الصغر، أو المتناهي في الكبر .

ومن هذه الأسباب ما نشاهده، ومنها ما نستنتجه استنتاجاً، ولا نزال نتسلسل مع الأسباب، حتى نصل إلى سبب مجهول الذات هو سبب الأسباب الأول .

وهنا نقول: لو كان الأصل في هذه الموجودات المعروضة على حواسنا هو الوجود، لم نكن عرضة للتحول والتغير، والزيادة والنقص، والبناء والفساد، ولم نحتج صور وجوداتها، وتغيراتها إلى أسباب ومؤثراة، وحيث أنها عرضة للتحول، والتغير، وحيث إن قوانينها، تفرض احتياجاتها إلى الأسباب والمؤثرات، لزم عقلاً أن لا يكون الأصل فيها هو الوجود، وإنما يجب عقده، أن يكون الأصل فيها هو العدم .

لذلك: فهي تحتاج في وجودها إلى سبب موجد، وسنعرض إلى مبدأ السببية في دليل خاص .

وبهذه المرحلة من الدليل ثبت لدينا ما يلي:

أ- إن الأصل هو العدم في جميع هذه الأشياء الكونية، القابلة للإدراك الحسي، وكل ما شابهها في الصفات.

ب- وحيث كان الأصل في جميع هذه الأشياء الكونية العدم: وجب عقلاً إن يكون لها سبب مؤثر، نقلها من العدم إلى الوجود في مرحلة وجودها الأول، ولا يزال يؤثر باستمرار في جميع صور تغيراتها المتقنة الحكيمة[1] .

المرحلة الرابعة والأخيرة من الدليل: علمنا من المراحل الثلاث السابقة الحقائق الثلاث التالية:

١- أن الوجود من حيث هو يجب عقلاً أن يكون هو الأصل .

٢- أن ما كان وجوده، هو الأصل، استدل أن يكون له ابتداء، وان يطرأ عليه العدم .

٣- أن هذه الأشياء الكونية المعروضة على حواسنا ومداركنا – والتي نحن جزء منها – وكذلك كل ما شابهها: الأصل فيها العدم، ويحتاج وجودها، إلى سبب موجد .

وهنا نقول: حيث اجتمعت لدينا هذه الحقائق الثلاث التي لا مفر منها، ولا محيد عنها، فلابد لنا من التوفيق بينها بشكل تقبله العقول قبولاً تاماً من غير اعتراض، وذلك لا يكون إلا وفق صورة واحدة لا ثانية لها، وهي أن نقول:

أولاً: لابد عقلاً من وجود موجد عظيم: وجوده هو الأصل في الكائنات، وعدمه مستحيل، لذلك فهو (واجب الوجود عقلاً) .

ثانياً: لا يكون السبب الموجد للكون بجميع ما فيه ألا موجوداً عظيماً، وجوده هو الأصل، وهو واجب الوجود وذلك هو: ((الله سبحانه وتعالى)) .

خاتمة حول هذا الدليل: وبهذه الطريقة من الاستدلال، يسقط نهائياً تساؤل المتسائلين: كيف وجد الله سبحانه ؟ لأنه تساؤل لا يعتمد على منطق وعقل، ذلك إن مثل هذا التساؤل إنما يرد في موجود تثبت قوانينه وصفاته، أن الأصل فيه العدم، فهو يحتاج إلى موجد حتى يوجده ويبدعه من العدم .

أما الموجود الذي يجب عقلاً أن يكون الأصل فيه الوجود، ولا يجوز عليه العدم، فهو يمكن أن يتعرض وجوده إلى مثل هذا التساؤل بحال من الأحوال، وإيراد تساؤل من هذا النوع، يتنافى مع الحقيقة العلمية الثابتة، وهي: أن الأصل فيه، هو الوجود[2] .

(١) ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص ١١٤ .

(٢) ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص ١١٥ .

الدليل الثاني: دليل الإمكان في الكون:

بملاحظتنا لكل شيء في الكون: سواء كان من الأشياء المادية التي يمكن ان ندركها ببعض حواسنا، كالأرض والنجوم، أو كان صفة من الصفات القائمة في الأشياء المادية التي نستنبط وجودها بعقولنا، كالجاذبية الخاصة الموجودة مثلاً في حجر المغناطيس، وكالجاذبية العامة الموجودة مثلاً بين الكتل المادية، وكخواص المركبات المادية التي لا حصر لها في الكون، سواء في ذلك الظواهر الكيميائية أو الفيزيائية .

وبملاحظتنا لما نعقل عن جواهر الوحدات المستقلة المتحيزة والتي لا تدخل في نطاق إحساسنا، كالملائكة والجن وكيفية تكوينها وإعراضها وصفاتها .

من خلا ل ملاحظتنا لجميع هذه الأشياء الكونية، ندرك بداهة في كل واحد منها انه كان من الممكن عقلاً إن يتخذ صورة وصفة وحالة غير ما هو عليه الآن، فهنالك احتمالات كثيرة لا حصر لها في مجال الممكنات، لا يرى العقل مانعاً من أن تتحول هذه الأشياء الكونية إلى واحدة منها .

فالعقل لا يمنع من أن تتخذ مثلاً صورة غير الصورة التي هي عليها، وشكلاً غير الشكل الذي هي عليه، أو حداً غير حدها، الواقع كماً وكيفاً، فتكون مثلاً اكبر مما هي عليه، أو اصغر، أو مركبة، غير التركيب الذي هي عليه، أو في جزء من الكون، وزمان من الدهر، غير حيزها وزمانها، أو أن تكون لها صفات وقوى، غير صفاتها وقواها، أو حركات، ومدارات، وسرعات، مغايرة لما هي عليه .

كل هذه وأمثاله من الاحتمالات التي لا حصر لها، مما يجوزه العقل بداهة، ويعتبره من الممكنات العقلية، التي لو كان تركيب الكون على وفقها لم يكن في ذلك منافاة لأصل عقلي .

فما المانع مثلاً من إن يكون الليل والنهار سرمدين ؟ وما المانع العقلي، من أن يكون الإنسان على غير هذا الوضع القويم، أو اكبر أو اصغر مما هو عليه جسداً وهامةً ؟

وما المانع من أن يكون العقل في البهائم والنطق في الجمادات ؟ وما المانع من ان تكون الأرض ادنى إلى الشمس، والقمر من الوضع الذي هي عليه ؟ أو غير ذلك من أشياء كثيرة[1] .

فان قيل أن الحكمة تقتضي أن تكون هذه الأشياء كما هي عليه الآن، وإلا اختل النظام وفسدت النتائج الموجودة في هذا الكون، قلنا: الحكمة صفة الحكيم، وذلك الحكيم هو الله تعالى .

(١) ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص ١١٦.

ونقول من ناحية أخرى: حيث أن كل شيء في هذا الكون محتمل ان يكون على واحد من أوضاع كثيرة غيرالوضع الذي هو عليه، فان عقولنا لابد ان تحكم بداهةً أن ما كان كذلك فلابد له من مخصص قد خصصه باحتمال موافق الحكمة والإبداع والإتقان، من جملة احتمالات كثيرة .

ولولا وجود المخصص للزم ترجيح احد المتساويين في الأخر من غير مرجح، أو القول: بان موافقة الحكمة فيما لا حصر له من الإعداد كان على طريقة المصادفة، وكلاهما مستحيل عقلاً، ونحن بوصفنا عقلاء في هذا الكون، لا فقبل أن نلتزم المستحيلات بينما نرى قوانين هذا الكون ثابتة لا تختلف أبداً، ومن قوانينه رفض الترجيح بلا مرجح، ورفض احتمال المصادفة في نظام من الكون البديع، وأي الأمرين اسلم، وأكثر قبولاً في العقل، هل إحالة هذا التقاء الحكيم في الكون إلى حكم المصادفة المتمثلة في العقل ؟ ام إلى حكمة مخصص حكيم، قد خصص هذا الممكن في احتماله الموافق للحكمة ؟ !

وحيث ثبت لدينا احتياج هذه الممكنات إلى المخصص الحكيم، فان عقولنا تحكم بشكل قاطع: أن هذا المخصص يجب أن لا تكون ذاته أو صفاته محلاً لأي احتمال من الاحتمالات الممكنة التي تتعرض لها هذه الأشياء الكونية في نظر العقل، وإنما يجب أن يكون على وضع ثابت واجب عقلاً، لا يقبل العقل – بحال من الأحوال – أن تحتمل ذاته وصفاته وضعاً أخر .

هذا الموجود الواجب الثابت في ذاته وقيه صفاته، والذي يوجب العقل ان يسند أليه تخصيص هذه الممكنات في واحد من احتمالاتها الكثيرة، هو واجب الوجود، وليس بممكن الوجود حتماً (وهو الله تعالى)، وبذلك يثبت المطلوب .

ونستطيع أن نسمي هذا الدليل بـ(دليل الإمكان في الكون)[1] .

وقد أشار القرآن على دليل الإمكان في الكون في عدة آيات منها:

أ- قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ الملك: ٣٠.

فهذه الآية الكريمة تين للناس أن الله وحده هو الخالق المتصرف فان امسك الماء فمن الذي يعطي، فجدير بكم أن تعبدوه، وهذا إثبات الوجود الله تعالى[2] .

(١) ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص ١١٧ .

(٢) مختصر التفسير للبغوي ، المؤلف عبد الله بن احمد بن علي الزيد ، الطبعة الأولى ، نشر دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض ، تاريخ النشر ١٤١٦ هـ ، مصدر الكتاب: H H P / w w w at – islam – com

ب- وقوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ الواقعة: ٦٣ - ٧٠.

فقد بين الله سبحانه في هذه الآيات وأمثالها من القرآن الكريم أن الصور والأنظمة والأوضاع التي تشاهد منها في الكون، من الممكن ان تتخلف وتتغير، وان تتحول من وجود إلى العدم، ومن وضع إلى وضع، وذلك بقدرة الله تعالى، فإذا أراد الله أن يسلب هذه النظم الحكيمة القائمة في الكون، وينجم عن ذلك الإضرار بحياة الناس في الأرض، فهل يستطيع احد غير الله أن يثبتها على أوضاعها ؟ !

فلو جعل الله الظل ساكناً لا ينسخه الضياء، ولو جعل الله الليل سرمداً، والنهار سرمداً، فماذا سيكون وضع حياة الإنسان على وجه الأرض ؟ !

لا شك إن ذلك سيكون خطراً محدقاً بالمجموعة البشرية، لان النهار شمسه دفئهم ورزقهم، والليل بسكونه وظلمه لباسهم وراحتهم بعد المشقة والتعب[1] .

ثم أليس من الممكن أن يذهب الله هذا الخلق ويأتي بغيره ؟ !

أليس من الممكن، أن يغور الله الماء في الأرض، فلا يستطيع الناس، له طلباً ؟ !

أليس من الممكن أن يجعل الله الزرع، والثمار، حطاماً، فيحرم الناس من أرزاقها ؟ !

أليس من الممكن أن ينزل الله الماء من السحاب مالحاً كدراً أجاجاً، غير صالح للشرب وري المزروعات؟!

إذا كان كل ذلك من الممكنات، فلابد أن يكون وضعها القائم فعلاً ممكناً أيضا، لان احد الاحتمالات المقابلة للصور المفروضة وإذا كان ممكناً، فلابد ان يكون له مخصص قد خصصه بأحد ممكناته المحتملة، وهذا المخصص هو الموجد الذي أوجدها من العدم، إذا الأصل في جميع الممكنات العدم، ولا تخرج من العدم إلى الوجود ألا بوجد قادر حكيم: (وهو الله سبحانه)[2] .

الدليل الثالث: دليل التغير والسببية

(١) ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص ١١٨.

(٢) ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص ١١٩.

ونسير في هذا الدليل على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى من الدليل:

ننظر إلى الموجودات الكونية: سواء منها الموجودات المادية المدركة بالحس، أو الموجودات الأخرى الخارجة عن نطاق الإدراك الحسي، والتي نستنتج وجودها برهان العقل، فنلاحظ أن حوادث التغير لا تنفك منها أبدا فما من شيء في هذا الكون الفسيح، ألا هو في أوضاع من التغيرات الكثيرة بشكل مستمر .

فهذه التحويل الكونية في المواد الكيميائية حوادث مستمرة، وهذه الإعراض في الظواهر الفيزيائية لا تغير مستمر .

نرى ذلك في تحول البذور إلى أشجار وثمار ثم تحويلها إلى رماد أو هشيم يفتت، ثم يتحول إلى عناصره الكيميائية والفيزيائية، البسيطة أو المركبة .

ونرى ذلك في تحول أغذية إلى دماء في الإحياء، ثم إلى نطفة، ثم إلى أحياء أخرى، لها وحدات مستقلة في صفاتها وإعراضها، وخصائصها، وأعمارها وطباعها .

ونرى ذلك في الحركة الدائمية في هذه الكرات الكونية السابحة في أفلاكها، وفي عوالم المجرات الكونية الكبرى، كما يذكر علماء الفلك .

ونرى ذلك في الحركة الدائمية في الذرات، كما يذكر علماء الذرة، في حديثهم عن الاليكترونات السالبة.

ونرى ذلك في تحول الصوت إلى كهرباء، والكهرباء إلى اهتزازات في الفضاء، ثم تعود كرتها الثانية، حتى ترجع فتظهر اصواتاً في الأجهزة اللاقطة (الراديو)، ونرى ذلك في تبخر الماء وتجمعه سحباً، ثم تجمعه وهطوله غيثاً يحمل الخير والخصب لأرض مجدبة ميتة عطشى[1] .

ونرى ذلك أيضا في تحول الفحم مثلاً إلى الماس في الأزمان الطويلة، وتحول الصخور بمرور الدهور من صفة إلى صفة، ومن وضع إلى وضع، بتأثير أنواع الحرارة، والضغوط .

ونرى ذلك يومياً في تعاقب الليل والنهار وطلوع الشمس والقمر وغروبها، وضحوا النجوم وأفولها، ونرى ذلك في تعاقب الصيف والشتاء، والحر والبرد، كما نراه في الحياة والموت، ومعلوم أن الحياة اكبر ظاهرة من التحول عجيبة ـ يولد سرها مع الأحياء كميناً مجهولاً فيها، ثم يموت سرها مع الأحياء إذا ماتت إلى أشياء

(١) ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص ١٢٠.

أخرى كثيرة لا تتناهى انتقصاءً وحصراً، ومنها أشياء تكون حالة التغير فيها، ظاهرة سريعة، كالحيوان والنبات، أو بطيئة – لا تظهر لأنظارنا ألا بألوف السنين، أو بملايينها – كالتغيرات الكونية، التي تظهر في عوالم النجوم، وفي الأجسام الجامدة الصلبة[1] .

المرحلة الثانية من الدليل:

ثم نقول: أن التغير لا ينفك عقلاً عن معنى الحدوث، لأنه لو فرضنا انه حصل تغير في المكان لجسم من الأجسام – مع العلم أن التغير المكاني هو ابسط أنواع التغيرات الكونية على الإطلاق . هذا في التغيرات المكانية، فكيف في التغيرات الجوهرية التي تتنأول التغيرات في التركيب والصفات والخواص وغير ذلك[2]؟!

المرحلة الثالثة من الدليل:

وبملاحظتنا للقوانين العامة لهذا الكون التي لم تتخلف في شيء منها، والتي هي من الأمور البديهية في نظر الناس، وفي نظر العلم التجريبي – ترى انه لابد لكل تغير يحدث في أي جزء من أجزاء الكون من سبب اثر فيه تأكيداً يكفي لان يحوله ويغيره من وضع إلى وضع آخر .

ثم نقول أن ابسط أنواع التغيرات وهو التغير المكاني – كانتقال قطعة من الصخر مثلاً من مكان إلى أخر لا يسلم عاقل من العقلاء أن هذا التغير يحدث بنفسه من غير سبب يؤثر في ذلك الانتقال، تطبيقاً لمبدأ السببية البدهي في عقولنا، والذي استنتجناه من قانون الكون الدائم .

فلو وضعت في صندوقك المقفل مثلاً ما جمعته من نقود ذهبية في صرة خاصة، ثم غبت عنه يوماً ورجعت إليه بعد ذلك، فلم تجد صرة نقودك، وبعد البحث الشديد والتحري، وجدت نقدك كلها داخل صرتك الخاصة، في صندوق جار لك، ولما ثبتت أنها هي نقودك وصرتك فعلاً، ادعى إمام القاضي إنها انتقلت إلى صندوقه بنفسها، وادعى انه رآها تمشي في الهواء بنفسها متجهة إلى صندوقه، ومازالت العقبات تذلل في الطريق دون وساطة احد، فتفتح مغاليق الأبواب بنفسها، وتنشق الجدران بنفسها، ونحو ذلك من أخيلة خرافية، حتى وصلت إلى صندوقه ودخلت فيه، وهو لا يعلم من أين جاءته، وقد فرح بها، وظن أنها اختارته

(١) ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص ١٢١.

(٢) ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص ١٢٢.

دون غيره، لو ادعى من وجدت نقودك عنده هذه الدعوى فهل تصدقه ؟ أو هل يوجد عاقل في الدنيا يصدقه أو يسلم بما يقول[1] ؟ !

أن هذا التغير – وهو ابسط أنواع التغيرات – لا يسلم العقلاء انه حدث بنفسه، فما بالك بالتغيرات الجوهرية في التركيب والتحليل، وتحول التراب إلى أغذية، والأغذية إلى أجسام حية متحركة دبت فيها الحياة، فأصبح منها المدرك العاقل ذو القوة الفائقة، التي يستطيع أن يفعل بها الأعاجيب، ويستخدم قوى الكون الكامنة، فيتصرف فيها تصرفات عجيبة، فلربما استطاع أن يطلق من مكامن القوى في الكون قوى تبدد المدن والقرى، وتزلزل الجبال الراسيات، وتثير التيارات في المحيطات !!

أن من المسلم به أن كل هذه التغيرات الكونية لابد لها قطعاً من سبب حقيقي: كامل القدرة صدرت عنه هذه القوى الكونية الكبرى، وتمت بخلقه هذه التغيرات الكونية الهائلة، والحوادث العجيبة، وكامل الحياة أيضا دبت عنه صورة الحياة في الأجساد الحية، وكامل العلم صدرت عنه العقول القابلة للعلم والمعرفة، وكامل الحكمة صدر عنه كل أمر متقن محكم، إلى غير ذلك من صفات الكمال، ولا يمكن أن يكون هذا القادر الحي الحكيم العليم إلا منزهاً عن التغير والتحول والضعف، فلابد أن يكون ثابتاً كامل الصفات، واجب الوجود في ذاته وفي صفاته، لئلا يلزم احتياجه إلى سبب آخر – بمقتضى التشابه بينه وبين عالم المتغيرات لو كان ذلك – وهو محال عقلاً، وهذا الذي هو واجب الوجود في ذاته وفي صفاته، (هو الله تعالى) .

وبذلك نرى انه لا بد أن ننتهي في أخر الأمد إلى سبب الأسباب، الذي هو السبب الحقيقي الأول في كل حادثة تغير، ولا يكون هذا إلا واجب الوجود، كامل الصفات: (وهو الله سبحانه وتعالى)[2] .

التنبيه على دليل التغير والسببية في القرآن الكريم: لقد نبه القرآن الكريم على معنى التغير الدائم، القائم بكل شيء في هذا العالم، في كثير من الآيات الكريمة، التي تتضمن لفت النظر إلى وجود الله سبحانه، وإلى صفة خلقه الأشياء، ولئن كنا عبرنا بلفظ السبب ومعنى السببية من وجهة النظر التي سقناها في الدليل، فان الله سبحانه قد اختار في القرآن اللفظ الأدق في التعبير – والذي يتناسب مع صفة الإلوهية – ألا وهو لفظ الخلق، ذلك أن السببية متى انتهت إلى العليم الحكيم، المريد المختار القادر على كل شيء . كانت خلقاً– ويسقط عندئذ مفهوم السبب، فلكل صورة من صور التغير في هذا العالم – الذي أسميناه عالم المتغيرات –

(١) ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص ١٢٣.

(٢) ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص ١٢٤.

خلق رباني، كان هو السبب الحقيقي في حدوث ظاهرة التغير، من وراء الأسباب الصورية، وما أكثر الآيات القرآنية التي تشير إلى مضمون هذا الدليل بصيغة الخلق، لان صيغة الخلق هي التي تتناسب مع الإلوهية كما بينا، ومن تلك القرآنية الكثيرة:، قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ ﴾ فاطر: ١١.

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۚ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ ۖ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ ۖ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ النور: ٤٣ – ٤٥. يزجي سحاباً: يسوقه سوقاً رفيقاً إلى حيث يريد.

يجعله ركاماً: متراكماً فوق بعضه.

الودق: هو القطر.

السنا: شدة الضوء يذهب الإبصار[1].

إننا نرى هذه الآيات – وأمثالها في القرآن الكريم – تتحدث عن التغيرات الكثيرة التي نشاهدها في هذا العالم، وتشير إلى أن هذه التغيرات لابد لها من سبب، وان سببها الحقيقي الأول لابد أن ينتهي إلى معنى الخلق والإبداع، وذلك لا يكون ألا من صفات الخالق.

وعلى طريقة الإيجاز القرآني واختصار سبيل الحجة، ذكرت الآيات القرآنية الخلق من أول الأمر، فتحويل الأتربة بوساطة الماء إلى أغذية، ودماء، والدماء إلى نطف، ثم تحويلها إلى بشر سوي منه الذكر ومنه الأنثى، وإزجاء السحاب والتأليف بينه، وجعله ركاماً، وإخراج الودق من خلاله، وانعزاله على ارض دون ارض وفق المشيئة وإضاءة البرق وسط السحب، وتقليب الليل والنهار، وتحويل الماء إلى دواب حية، وجعل الدواب على أنواع مختلفة، وأصناف متعددة، كل هذه الأشياء ونظائرها التي لا تحصى – صور من التغيرات الكونية الدائمة، التي تتطلب في نظر العقل سبباً مؤثراً.

(١) ينظر: الدر المأثور في التأويل بالمأثور ، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي ، مصدر الكتاب ، موقع التفسير: http: / w w w eltaf . S . l - com

وقد عرفنا انه متى انتهى السبب المؤثر إلى سبب الأسباب كان ذلك خلقاً لا محالة، لأنه لا يكون سبب الأسباب ألا قادراً عليماً، مريداً مختاراً حكيماً، وذلك: (هو الله تعالى) .

وكل أفعاله خلق، لذلك فهو يخلق ما يشاء، وهو على كل شيء قدير، ومتى وصلنا إلى معرفة الله عز وجل، سقطت السببية ومفاهيمها، وثبتت في تصوراتنا صفات الله، وأسماؤه الحسنى، الواردة في النصوص والمفاهيم الدينية الثابتة[1] .

الدليل الرابع: دليل الإتقان في الكون:

من أعظم ما يدهشنا في أنفسنا، وفي الكون من حولنا، هو هذا الإتقان العجيب، في الصنع والتركيب، فما ندرك من شيء في الأرض ولا في السماء، ألا وهو في غاية الإتقان، مركب احكم تركيب، يؤدي به إلى غايته التي خلق من اجلها، باعتباره جزءاً من وحدته التي هو احد أجزائها، أو باعتباره فرداً في مجموعة هو واحد من نوعها، أو باعتباره مجموعة هي واحدة من جنس مجموعات كثيرة، كل ذلك في جملة هذا الكون الذي تنتظمه وحدة مهيمنة، لا يستطيع أي جزء منه ان يتحرر منها، أو يفك من قانونها[2] .

أليست من الإتقان العجيب هندسة هذا الكون في مخطط كواكبه ونجومه، بحيث ان أي تغير فيه يؤدي به إلى الخلل والنقص، أو الخراب والفساد ؟ !

سل عالم الفلك يظهر لك من دقائق إتقان الكون ما هو فوق الدهشة والحيرة، أليست من الإتقان المدهش هندسة هذا الإنسان في خلقه وتكوينه ؟ !

سل عالم التشريح عن مخطط جسم الإنسان وإتقانه وخواصه ومزاياه، يبين لك من صنعه عجباً يدهش العقل ويحير الألباب .

أليست من الإتقان البديع تكوين الأرض: ببحرها ويابسها، بجبالها وأغوارها، ووديانها وسهولها، بصخورها ورمالها، وأتربتها ومعادنها، بينابيعها وأنهارها، بألوانها وطرقها، ببحرها وبرها، وصيفها وشتائها، بليلها ونهارها، بسير فلكها ودورانها حول محورها، بجميع خواصها وصفاتها ؟ !

(١) ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص ١٢٧ .

(٢) ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص ١٢٨ .

سل عالم الجغرافية، وعالم الكيمياء، وعالم طبقات الأرض، سل عالم الطبيعة اياً كان اختصاصه، يظهر لك من إتقان تكوين الأرض عجباً يهديك إلى رشدك، ويعرفك بوحدة الصانع الحكيم، الذي أتقن كل شيء صنعاً[1] .

ويعرض عليك بائع الساعات ساعة لتشتريها، فتسأل أول ما تسأل بعد ان يسرك شكلها، عن الصانع الذي صنعها، لتعرف مستوى مهارته، وجودة صناعته وخبرته، حتى تطمئن على حسن سيرها في المستقبل، وعلى دقة ضبطها للوقت، لأنك تعلم انه يتوقف ما تطلبه منها من ضبط ومتانة على مقدار مهارة الصانع وإتقانه ونصحه .

هذا عرض ((لدليل الإتقان))، وقد سماه الكثيرين: ((دليل العناية))، لان ظاهرة الإتقان يلاحظ فيها أول ما يلاحظ، عناية الله الحكيم العليم بخلقه، وتهيئة صور الإتقان المناسبة لمصالحهم، وارى أنهما دليلان، دليل العناية، وذلك لان الإتقان أذا كان لمصلحة ذي حياة يستفيد منه كان ذلك عناية به فيظهر عندئذ دليل العناية[2].

التنبيه القرآني على مضمون هذا الدليل:

ولقد جاء التنبيه على مضمون هذا الدليل بشكل مجمل في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ النمل: ٨٨.أتقن كل شيء: أي احكم كل شيء[3] .

كما جاء إيضاحه في كثير من آيات القرآن الكريم، على وجه فيه شيء من التفصيل والتنبيه على كثير من صور الإتقان البديع في هذه المتقنات الكونية، حيث لم يوجد شيء منه إلا متقناً محكماً ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ ﴾ النبأ: ٦ – ١٦ .

---

(١) ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص ١٢٩ .

(٢) ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص ١٣٠ .

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة الاولى ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م ، عدد الأجزاء: ١ ، مصدر الكتاب: موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .

مهاداً: فراشاً، للاستقرار عليها .

أوتادا: أي كالأوتاد للأرض لئلا تميد بنا .

سباتاً: قطعاً، لإعمالكم، وراحة لأبدانكم .

سراجاً وهاجاً: مصباحاً غاية في الحرارة، وهي الشمس .

المعصرات: السحائب .

ماءً ثجاجاً: منصباً بكثرة .

الفافاً: ملتفة الأشجار لكثرتها، ففي هذه الآيات – من سورة النبأ – تنبيه على جزئيات كثيرة، يتجلى فيها إتقان صنع الله لمن تدبر وعقل[1] .

ومنها قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ عبس: ١٧ – ٣٢.

قتل الإنسان: لعن الكفار، أو عذب . فقدره: فهيأه لما يصلح له . قضباً: علفاً رطباً للدواب .

حدائق غلباً: بساتين عظاماً، متكاثفة الأشجار .

أباً: كلاً وعشباً، أو هو التبن خاصة، وفي هذه الآيات أيضا – من سورة عبس – صورة كثيرة، من صور إتقان صنع الله، في خلق الكانسان، وفي خلق الكانسان، وفي خلق ما يحتاجه في حياته، من طعام نباتي، وطعام حيواني، وما يحتاجه في حياته، من وسائل نقل حيوانية .

أنها صور متكررة فيما نشاهد في هذه الأرض، ولكن فيها عبراً كثيرة، تنطق بعظمة متقنها وخالقها، لمن أراد أن يذكر، أو أراد إن يكون شاكراً لنعم الله التي لا تحصى[2] .

ومنها قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ الفرقان: ٦١ – ٦٢ بروجاً: منازل للكواكب السيارة . سراجاً: شمساً .

(١) ينظر: العقيدة الإسلامية واسها ، ص ١٣٠.

(٢) ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص ١٣١.

خلفة: أي يتعاقبان في الضياء والظلمة، وهاتان آيتان من سورة الفرقان، فيهما تنبيه على مظاهر إتقان صنع الله، في الشمس والقمر والنجوم وتعاقب الليل والنهار، وفي هذا المظهر من مظاهر صنع الله المتقن مجال واسع لعلماء الفلك الباحثين[1] .

المبحث الثالث

الفطرة وأثرها على عقيدة المسلم

المطلب الأول: الفطرة والإيمان:

لقد أودع الله في مدارك الأفكار، وفي مشاعر الوجدان ما تدرك به فضائل الأخلاق ورذائلها، وهذا ما يجعل الناس يشعرون بقبح العمل القبيح، وينفرون منه، ويشعرون بحسن العمل الحسن، ويرتاحون إليه، وبذلك يمدحون فاعل الخير ويذمون فاعل الشر، وقد أرشدت النصوص الإسلامية إلى وجود الحس الأخلاقي في الضمائر الإنسانية، وأحالت المسلم المؤمن إلى استفتاء قلبه في الحكم على أي سلوك قد تمثل النفس إليه، قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ الشمس: ٧ – ١٠.

فالنفس الإنسانية منذ تكوينها وتسويتها ألهمت في فطرتها إدراك طريق فجورها، وطريق تقواها، وهذا هو الحس الفطري الذي تدرك به الخير من الشر .

والإنسان لديه بصيرة يستطيع أن يحاسب بها نفسه محاسبةً أخلاقية على أعماله ومقاصده، ولو حأول في الجدل اللساني الدفاع عن نفسه، وإلقاء معاذيره على غيره، قال تعالى: ﴿ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴾ القيامة: ١٤ – ١٥ .

عن النواس بن سمعان (رضي الله عنه) أن الرسول الله ﷺ قال: ((البِرُ حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس))[2].

(١) ينظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص ١٣١.

(٢) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب – باب – تفسير البر والاثم ، رقم: ٢٥٥٣ ، ٤ / ١٩٨٠ .

وهذا الحديث يدل على أن في النفس الإنسانية حساً خلقياً بالإثم، لذلك يكره فاعل الإثم أن يطلع عليه الناس ؛ لأنه يعلم أنهم يشعرون بمثل ما يشعر، وذلك بحسٍ أخلاقي موجودٍ في أعماق النفس، هذا الحس هو ما أسماه الباحثون الأخلاقيون بالضمير .

عن وابصة بن معبد (رضي الله عنه) قال: أتيت رسول الله ﷺ فقال: ((جئت تسأل عن البر، قلت نعم، قال ﷺاستفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك))[1].

في هذا الحديث الشريف تبيانٌ واضحُ للحس الأخلاقي، وليس هناك ما يمنع العمل بالضمير الأخلاقي إذا كان نقياً صافياً سليماً من العلل والإمراض، فإنه يستطيع أن يحس بفضائل الأخلاق ومحاسن السلوك،وان يحس برذائل الأخلاق ومسأوئ السلوك وأن يميز بين الصنفين .

والبر المفسر في كلام رسول الله ﷺ بأنه حسن الخلق، يفعله الإنسان السوي، وهو مطمئن القلب مطمئن النفس، أما الإثم فإن الإنسان السوي لا يقدم عليه إلا وفي نفسه قلق منه،وفي صدره تردد واضطراب، فالطمأنينة علامة البر، والتردد والاضطراب وخوف إطلاع الناس علامة الإثم، ولكن قد يختلط الأمر في بعض الأعمال على العقل والضمير، ويلتبس عليهما وجه الحق، فيكونان حينئذ في حاجة إلى هداية وتبصير ،وقد تطغى الأهواء والشهوات أو العادات والتقاليد ، أو يؤثر فيها الموجهون المضللون أو الشياطين الموسوسون من الجن والإنس ،وطريقة المسلم في هذه الحالة اتقاء الشبهات ، فإذا كان اتقاء الشبهات في جانب الترك لان الأمر مشتبه بين الحلال والحرام كان الأفضل للمسلم أن يترك العمل المشتبه فيه خشية الوقوع في الحرام وإذا كان اتقاء الشبهات في جانب الفعل لان الأمر مشتبه بين الحلال والواجب كان الأفضل للمسلم ان يأتي بالعمل المشتبه فيه خشية الوقوع في ترك الواجب .

والدليل على هذه الطريقة التي ينبغي للمسلم إن يتبعها مارواه البخاري ومسلم من عدة طرق عن النعمان بن البشير – رضي الله عنه – قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:((أن الحلال بين وان الحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى ، يوشك إن يرتع فيه ، الأوان لكل ملك حمى ، ألا وان حمى الله

(١) سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، ط:١٤٠٧،١ ، تحقيق فواز احمد زمرلي ، (باب دع ما يريبك إلى ما لايريبك ، رقم: ٢٥٣٣) ج: ٢- ٣٢٠ .

محارمه ، ألا وان في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب))[1].

هذا الحديث الشريف الصحيح من أحاديث الأصول الجوامع ، وفيه كليات عظيمة تتصل بأمهات السلوك وفيه تقسيم ثلاثي للإحكام الشرعية:

فالقسم الأول: هو الحلال الصرف البين الواضح الذي لم تخالطه شبهة ، ولا يختلف فيه الناس ،ولا تناثم منه النفوس ، ولا تتحرج .

والقسم الثاني: الحرام البين الواضح لا يختلف فيه عقلاء الناس وأصحاب البصيرة ولا يفعله فاعل ألا وفي نفسه حرج ، وشعور بالإثم ، وخوف من سوء المصير .

والقسم الثالث: المشتبهات وسميت بذلك لان لها شبها بالحلال يزيد وبنقص ، وشبها بالحرام يزيد ، وينقص ، هي تلتبس وتختلط على كثير من الناس ، وقد جاءت كلمة الشبهات جمعا لأنها كثيرة جدا بالنسبة إلى الحلال والحرام ، وجاءت جمعا لأنها متفأوتة في قربها من الحلال ،وقربها من الحرام ،والأسلم للمسلم الصادق في استسلامه إلى ربه أن يدع هذه الشبهات استبراء لدينه عند الله ، وعرضه عند الناس[2]، وقد قال رسول الله ﷺ:((دع ما يريبك إلى ما لا يريبك))[3].

وعن عطية بن عروة السعدي (رضي الله عنه)، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول)(لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذراً مما به بأس))[4].

فلما كان الإنسان مزودا في أصل كيانه بعقل إذا اعمله متفكرا في خلق السمأوات والأرض أوصله إلى الإيمان بالله خالقا، ومربيا، ومسيرا موجودا، وواحدا،وكاملاً .

ولما كان الإنسان مزودا في أصل فطرته بحس أخلاقي كاف لأدراك الخير والشر، والحق، والباطل من دون معلم، ولا موجه،ولا كتاب، انه مزود بعقل يدله على الله، ومزود بفطرة تدله على خطئه، لذلك بما انه

---

(١) صحيح مسلم ،(كتاب المسافات –باب اخذ الحلال وترك الشبهات) ، رقم ١٥٩٩ .

(٢) ينظر شرح صحيح مسلم:١١/ ٢٧ ؛ فتح الباري:١٣/ ٢٩٧ ؛سبل السلام:٤/ ١٧٢ ،تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي .ابو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبار كفوري (١٢٨٣ –١٣٥٣ هـ). دار الكتب العلمية . بيروت .(د.ت):٣٣٢ .

(٣) سنن الترمذي < باب صفة القيامة والرقائق والورع ، رقم ٢٥٢٠ >، ج: ٤/ ٦٦٨ .

(٤) سنن الترمذي (باب صفة القيامة والرقائق والورع ، رقم:٢٤٥١) ج ٤/ ٦٣٤ .

مزود في أصل كيانه بعقل، وفي أصل فطرته بضمير كافيين لمعرفة عظمة الله، ولمعرفة حال نفسه، يقال له يوم القيامة عندما يسلم كتاب عمله في الحياة الدنيا قال تعالى﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴾ الإسراء: ١٤، أي محاسباً[١]، إنك ستحاسب نفسك لأنك تملك ميزانين، ميزان العقل وميزان الفطرة.

وفضلاً عن الحس الأخلاقي الذي أودعه الله في الإنسان إدراكا وشعورا، هنالك قواعد هادية للبصيرة الأخلاقية، نبه عليها النبي ﷺ من هذه القواعد: ((عامل الناس كما تحب منهم أن يعاملوك))، وقد جاء هذا المعنى في حديث طويل رواه عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) وفيه يقولﷺ ((من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الأخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه))[٢].

فكلما اشتبه على الإنسان أمر السلوك، عليه أن يضع نفسه مكان الطرف الأخر ويفترض أن الأمر كان معكوسا، فالأمر الذي يستحسنه لنفسه من الآخرين مما لا معصية فيه هو الأمر الذي ينبغي أن يفعله معهم لذلك على المؤمن ان يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وان يكره له ما يكره لنفسه، كما روي عن انس (رضي الله عنه) عن الرسول ﷺ قال ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))[٣].

ومن هنا يندفع المسلم إلى أن يكون صادقا مع أخيه لأنه يحب إن يصدقه الناس إذا حدثوه، ويكره أن يكذبه، ويندفع المؤمن إلى أن يكون أمينا على مال أخيه وعرضه وشرفه،ويكره أن يخونوه بشي من ذلك، ويندفع المؤمن إلى مساعدة أخيه ومعاونته، في مال، أو علم، أو جاه، أو خدمة، أو نصيحة، أو دعوة صالحة، أو شفاعة حسنة، لأنه يحب لنفسه مثل ذلك من أخوانه، ويندفع المؤمن إلى دعوة أخيه إلى الإيمان الصادق، والعمل الصالح، لأنه يحب هذا لنفسه، وهكذا تجد المسلم مدفوعا إلى الصبر، والعفو، والصفح، والمسامحة محأولا جهده ستر العيوب، وعدم نشلرها بين الناس، بل يبادر إلى نصحهم سرا ما وجد إلى ذلك سبيلا، انه يفعل ذلك، لأنه يحب أن يعامل هكذا .

فما الهدف من التزام مكارم الأخلاق التي ترتاح إليها الفطرة، والتي أمر بها الإسلام أو رغب بفعلها؟

---

(١) الجامع الإحكام القران .

(٢) صحيح مسلم ،(كتاب الإمارة ، باب وجود الوفاء ببيعة الخلفاء ، رقم: ١٨٤٤) .

٤ صحيح مسلم ،(كتاب الإيمان –باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب ، الرقم:٤٥) ج١ / ٦٧ .

وما الهدف من اجتناب نقائض الأخلاق والتي تنكرها الفطرة، والتي نهى عنها الإسلام أو رغب في تركها ؟

الهدف من هذا وذاك، هو الفوز بسلامة القلب، وسعادته، ونيل الجزاء المعجل في الدنيا، والنجاة من العقاب المعجل فيها، ثم الفوز العظيم بالسعادة المطلقة الأبدية في الآخرة .

أن لذات الجسد وآلامه أهون اللذات، والآلام قيمة في الحياة الإنسان ولكنها تدخل ضمن الوحدات الجزئية التي تمنح الإنسان قسطا من السعادة لكنها كرذاذ سريع الجفاف، لا يملأ ساحة النفس والقلب والفكر، وتأتي فوق لذات الجسد لذات النفس الدنيوية وآلامه، وهي أعمق، واشمل، وأطول، ثم تأتي فوق لذات النفس الدنيوية سعادة النفس الأخروية، وهي تتغلغل إلى أعمق أعماق الإنسان، وتتسع حتى تشمل كل حياته، وكل نشاطاته، وكل حركاته، وسكناته، وهي أبدية لا تزول أبدا، لها بداية مع بداية الإيمان، وليس لها نهاية، وهي متنامية دائما .(١)

وقد تطغى لذة النفس على الم الجسد فلا يشعر الإنسان بألم الجسد، وقد تطغى سعادة النفس الأخروية على الم النفس الدنيوي، فلا يشعر الإنسان بهذا الألم، وقد تطغى آلام النفس على لذات الجسد، فلا تكون لهذه اللذات آية قيمة .

ومجمل القول أن الإنسان إذا لزم مكارم الأخلاق التي ترتاح إليها الفطرة، والتي يطمئن أليها القلب يحقق الغاية من وجوده، ومن سلامة وجوده، ومن كمال وجوده، ومن استمرار وجوده، ذلك لان في القلب أشعثا لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفي القلي وحشة لا يزيلها آلا الإنس بالله، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفة الله، وفيه قلق لا يسكنه ألا الاجتماع عليه، والفرار أليه، وفي القلب نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضى بأمره ونهيه، وقضائه، وقدره، والصبر على ذلك إلى يوم لقائه وفي القلب فاقة لا يسدها ألا محبته، والإنابة إليه، ودوام ذكره، والإخلاص له .

والإيمان أساس الفضائل، ولجام الرذائل، وقوام الضمائر، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم إن أحسن الناس إسلاما أحسنهم خلقا، وان أكملهم إيمانا أحسنهم خلقا، وان من أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقا، وان خير ما أعطي الإنسان خلق حسن، وانه ما من شي أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق

(١) الفطرة في الإسلام: أطروحة مقدمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية – جامعة بغداد – وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

حسن، وان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم، بل ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الجنة، والخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد، وسوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل[1] .

المطلب الثاني: الفطرة والتوحيد:

أن أصل الفطرة كما علمنا هو: الاستعداد، وقد اعد الله تعالى الناس للتوحيد بموجب العهد الأول، ثم قال تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الروم: ٣٠ – ٣١

فبين انه قيم يقتضي الاستقامة لدين الله تعالى في لنفوس العالمة به إذ نبه على خفائه في نفوس أكثر الناس فقال:)(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ))،ثم بين أن خفاء هانما هو بما عرض للنفوس من كدورات العالم السفلي فاقتضى الإنابة والتقوى والرياضة بأعمال التزكية، وإلا فان ذلك يؤدي بهم إلى الضلال .

وهذا الخفاء: أنما هو في العلم بالموحد وموجبات توحيده، كما قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ النحل: ٧٨،وقال سيدنا رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) –: ((ما من مولود إلا ويولد على الفطرة،فأبواه يهودانه،أو ينصرانه،أو يُمجسانه))[2].

الإعداد للتوحيد وقوام الدين في النفوس الناس العلم انه تعالى القدير التام القدرة، المتصرف لذاته في هذا الكون، المعروف ب (الله) عند المؤمنين، وبـ(أسماء شتى) عند المشركين، كما سولتها لهم نفوسهم فضلو عن الحق، اذ المؤمنون والمشركون على السواء يؤمنون بوجوده لكن المؤمنون يهتدون، والمشركون يصرفون ويؤفكون، قال الله تعالى ﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ الأنعام: ٤١ وقال

(١) الفطرة في الإسلام .

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة – صحيح البخاري تحقيق: د . مصطفى الطبعة الثالثة . دار ابن كثير الإمامة بيروت . ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م: ١/ ٤٦٥ رقم ١٣١٩ .

سبحانه﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾ الإسراء: ٦٧.

فلذلك قال تعالى ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ طه: ٩٨

وبين للناس تكوينه للعالم ثم قال سبحانه: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ يونس: ٣٢، ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ غافر: ٦٢ – ٦٣،يعني إنما ذاك القديم التام القدرة الذي تؤلهونه بالحق هو: الله، فأنيبوا أليه واتقوه ولا تصرفوا وتأفكوا وتتبعوا أهوائكم،﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يوسف: ٤٠

وإنما قال تعالى ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ النحل: ٧٨ ؛لان ذلك وسيلة العلم، وآلات الجلاء المستلزمة للشكر .

ومن ثم قال تعالى﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ البقرة: ١٧١ ومثل للمشركين بالبحر ؛ لان فيه الثقة بالنقطاع الأسباب لمحدوديتها مع تحقق الخطر،وذلك يكشف للنفس حقيقة العالم السفلي،فتتجرد عنه،فلا تجد لها سببا إلا ما اعد فيها مسبقا من مقدمات التوحيد ثابتا قائما، فتتعلق به وتدعو بمقتضاه، خلافا للبر .

وقد قال الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ الأحقاف: ٥، فإدراك الفطرة ظاهر من مجرد الدعاء لما فيه من اعتقاد ألوهية المدعو، وذلك لا يصح لشيء من هذا العالم فكان الذي يدعو ولا يهتدي للفطرة ويطلب التوحيد أضل الناس على الإطلاق، فيه قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ الأعراف: ١٧٩، ثم قال للمؤمنين: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ الأعراف: ١٨٠

وههنا ذكرى لمن ظن أن المشركين عند الشدائد يوحدون الله تعالى على مقتضى الإيمان الشرعي، إذ المقصود: أنهم يدركون بذلك فطرة التوحيد، فتقام عليهم الحجة في طلب الحق، كما قال الله تعالى: ﴿ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ الأعراف: ١٧٣

وفي هذا بيان وجوب معرفة علم الكلام الشرعي على الدعاة للدين اذ لا تقوم الحجة على المشركين بالخطاب ما لم يدركوا فطرة التوحيد وانه لا إله الا الله عقلا، وهذا ظاهرة في محاجة الله تعالى لهم في خطابه.

فانه لم يأمرهم بعبادته ألا بعد أن أيقضهم على فطرة التوحيد، وأقام عليهم الحجة العقلية على الإيمان به نحو قوله تعالى﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٢

فكل من أدرك فطرة التوحيد بوجه ما، فقد أقيمت عليه الحجة في الإسلام يقول سبحانه﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ الأنعام: ١٣١

وأن معرفة الله تعالى إيمان لا يقضي بالإيمان الشرعي الا على سبيل التوحيد، لذلك قال سبحانه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ المائدة: ٧٧،وقوله ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمۚ ﴾ آل عمران: ١١٠ وفي قول الله تعالى ((لا تغلو في دينكم غير الحق)) ندب للغو في الدين بالحق، كما قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ الحج: ٣٢،﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ الحج: ٣٠. فالأول في الثناء والأخر في الورع .

علة توجه البشر إلى الله:

السؤال الذي يطرح نفسه ألان: ما هو سبب التوجه إلى الله تعالى ولماذا يتخذ الإنسان دينا وعبادة وطقوسا؟

في معرض الجواب عن مثل هذا السؤال، الذي يتطلب الكثير من الكلام، وصياغة براهين عقلية ونفسية معمقة ومتعددة، إلا أننا سوف نقتصر على اليسير منه طلبا للاختصار . وعليه:فان ذلك ناتج بسبب قانونين أساسيين في الفكر البشري، أحدهما قانون السببية، والأخر قانون الغائية .

أولا : قانون السببية:

ويتلخص هذا القانون في انه لا يوجد شيء من الممكنات من دون علة أوجدته، بعد أن لم يكن شيئاً مذكورا، وذلك ناشئ من كون الممكن (أي الشيء الموجود) لا يحمل السبب الكافي لوجوده، وكذا لا يستقل بإحداث شيء، فكما أن الممكن لا يستطيع إيجاد نفسه، فبطريق أولى لا يستطيع أن يوجد غيره بحسب القاعدة التي تقول: (فاقد الشيء لا يعطيه) . لذلك لابد أن يقضي العقل الإنساني بوجود سبب وعلة لوجوده .

وهذه العلة لابد أن تكون حكيمة – خلافا لنظرية الصدفة – لما نرى من الاتساق والتنظيم الذي يكتنف الوجود برمته، من الذرة إلى المجرة، المتناسقة لا يمكن إيعاز علته إلى أساس فوضوي عشوائي .

وكذا يقطع العقل البشري، أن هذه العلة ذات حياة، وعلم، وقدرة وارادة، ولو تخلف ذلك – بمقتضى قاعدة العلية – لانقطع الوجود وأصبح عدما[1] .

أذن فمدبر هذا الوجود، والمسيطر عليه والمؤثر فيه، هو الله تعالى، لذلك لابد للإنسان أن يدين بالاعتراف به، والخضوع إلى أوامره التي جاءتنا عن طريق أنبيائه، وهذا هو الدين،كما قيل: (البعرة تدل على البعير، والروثة تدل على الحمير، وأثار القدم تدل على المسير،

فهيكل علوي بهذه اللطافة، ومركز سفلي بهذا الكثافة، لا يدلان على اللطيف الخبير)[2] ؟!

ثانيا – قانون الغائية: وموجبه إن كل نظام مركب متناسق مستقر، لا يمكن أن يحدث من غير قصد، وان كل قصد لابد أن يهدف إلى غاية، وان هذه الغاية أذا لم تتحقق إلا مطلبا جزئيا إضافيا منقطعا، تشوقت النفس من ورائها اللى غاية أخرى، حتى تنتهي إلى غاية كلية ثابتة، وهي غاية الغايات،مضجعه، وحيرت عقله، وجعلته في فكر دائم وهي: أنه من أين أتى ؟

وإلى أين هو قاصد ؟ ولماذا خلق ؟

أترى أن هذا الإنسان يعيش في هذه الحياة بلا غاية ولا هدف يسير نحوه واليه ؟ أتراه قائما على وجه يتخبط في سير حياته، لا يدري إلى اين يريد، ولماذا وجد، ولماذا يموت[3]؟!

---

(١) ينظر: النزعة الدينية بين الإلهيين والماديين ، فاضل الموسوي الجابري ، سلسلة المعارف الاسلامية ، إصدار مركز المتابعة التقويم والإشراف العلمي . بيروت (د. ت):٥٥ .

(٢) ينظر: النزعة الدينية:٥٦ – ٥٧ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه .

إن من السخف أن يفكر الإنسان بأن وجوده عبث، لأنه بذلك يسلب إنسانيته وفكره وحضارته، وكل نتاج بشري في جميع الأصعدة، فلا تستقيم حكمة الوجود الا بضرورة وجود غاية لهذا الوجود، وهنا يبحث هذا الإنسان عن الغاية .

ولكن ربما أخطأ الإنسان في معرفة تلك الغاية، فتصور أن الخالق هو ذلك الصنم الذي يرمز إلى قوة خفية، أو إن الخالق هو الشمس أو القمر أو النجوم أو غيرها، ولكن الذي ينبغي قوله: إن الإنسان لا يصل إلى هذه المرحلة الخسيسة إلا بعد أن يعجز – بحكم أشياء عديدة – عن الوصول إلى الحقيقة، لذلك نراه يتعلق بهذه الأشياء ليسد هذا الفراغ والحاجة النفسية والفكرية لديه.

أما الإنسان الحر والمتفتح على الوجود بكل كيانه، والذي تدبر بعقله هذا الصنع العظيم – كما في قصة إبراهيم عليه السلام – فانه يقطع أن الغاية لابد إن تكون متناسقة مع هذا الوجود العجيب، وهذه الحكمة الكبيرة، قال تعالى:﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ فصلت: ٥٣

وقال تعالى:﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ المؤمنون: ١١٥ – ١١٦

فلا يمكن أن يكون هذا الخالق صنما يصنعه الإنسان بيديه، أو يكون شيا من الأفلاك والنجوم، أو الأشخاص، أو المظاهر الطبيعية وغيرها، لان كل اؤلئك محدود وموجود ومخلوق وناقص، ولان من الأمور الفطرية التي فطر الناس عليها هو النفور من النقص، والاتجاه نحو الكمال، لذلك فان الإنسان ينفر من كل نقص وعيب .

فمبدأ الغائية هو من ثمار التوحيد، ولا يمكن أن يستقيم الأمن خلاله، وأنى لهذه المعبودات الناقصة من تحقيق الكمال لنفسها، فضلا عن إعطائه لغيرها، على قاعدة < أن فاقد الشي لا يعطيه >، وصدق الله اذ يقول﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ الحج: ٧٣

هنا قد ترد علينا ملاحظة مفادها: أنه إذا كان الدين الحق هو التوجه إلى الله وحده، وهو دين الإسلام، وإن مقتضى الفطرة يؤكده، – أي إن الفطرة هي الإسلام – فلم لم يؤمن الكم الغفير من البشر على مرور الأيام، والتي قضت حياتها تعبد الأصنام والكواكب والمظاهر الطبيعية

وحتى الأشخاص، يسيرون على غير الفطرة، بينما أوردنا أن الدين بصورته الشمولية الكلية هو أمر فطري، ألا يوجد تعارض ومنافاة مابين كون الدين الحق هو الفطرة، وكون مطلق الدين،الذي فيها الشرك – من الفطرة أيضا ؟

ويمكن الإجابة على هذه الملاحظة، بأنه لأريب أن الذي ذكر كان منصبا نحو نقطة جوهرية، وهي: كون التوجه إلى الله – القوة الأزلية – الذي هو من الغيب الخارج عن النطاق الحس هو أمر فطري، ولكن الإنسان تختلط عليه الأمور، ويدور في دوامة الأفكار، فيضل طريقه في خضم البحث عن الله تعالى لأسباب كثيرة ؛ أهمها الغفلة، والشبهة والفطرة لا تتنافى معها . بل الذي ينافيها في الواقع إنما هو البغي والجحود، الذي هو انحراف عن الصراط المستقيم، وقد عبر القران عن هؤلاء الذين اختلط عليهم الأمر ولم يكن لهم موضع أو مرشد بأنهم مستضعفون لا يملكون حيلة، قال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ النساء: ٩٨ – ٩٩

أما الصنف الثاني من الناس، وهم الذين أتوا البينات، وبعث إليهم النبيون، مبشرين ومنذرين، ثم بعد كل ذلك يصرون مستكبرين ومعاندين، لايؤمنون بالله ولا يوحدونه، فأولئك هم البغاة الذين قال الله فيهم: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ البقرة: ٢١٣

وعليه فان عبادة غير الله ليست منافية لفطرية الدين، لأنها ناشئة عن الغفلة، وإما البغي فانه ينافي الفطرة، وهو شذوذ عنها،وهذا ليس غريبا، إذ نرى أن بعض الناس قد شذوا عن أمور فطرية كثيرة، أمثال العزوف عن الزواج أو راحة الجسد والمحبة لبني الإنسان .

وقد يثار اعتراض أخر، وهو أننا قررنا أن الإنسان بفطرته يتوجع إلى مصدر غيبي وقوة أزلية تتجاوز الحس والعيان، ولكننا نجد أن عبادة الأصنام، أو الأفلاك ' أو ما شابه ذلك، أنما هي عبادة أشياء محسوسة، وحقائق مادية، فكيف توفقون بين لكلامكم السابق وهذه الحقيقة ؟والحقيقة أن كلمات الباحثين في تقسيمات المتدينين وعقليتهم قد تطابقت على أن ليس هناك دين، أياً كانت منزلته، من الضلال والخرافة وقف عند ظاهر الحس،

واتخذ المادة المشاهدة معبودة لذاتها وانه ليس احد من عباد الأصنام والأوثان كان هدف عبادته في الحقيقة هياكلها الملموسة ولا رأى في مادتها من العظمة الذاتية ما يستوجب لها منه هذا التبجيل والتكريم .

وكل أمرهم انهمك انو يزعمون أن هذه الأشياء مهبطا لقوة غيبية أو رمزا لسر غامض يستوجب منهم هذا التقديس البليغ فهي في نظرهم أشبه شي بالتمائم والتعويذات التي يتفائل أو يتبرك بها أو يستدفع بها شي من الحسد أو السحر لا على أن لها خاصية ثابتة كامنه فيها كمون النار في الرماد ا وان لها قوة طبيعية كقوة المغناطيس بل على أن ورائها أو حولها روحا عاقلا مدبرا مستقل الإرادة يستطيع أن يغير بمشيئته سير الأمور ومجرى العادات وان تلك المواد المشاهدة ما هي في اعتقادهم إلا مظهر ومطلع يطل منه الروح الخفي ويبارك من يتمسح بتلك الهياكل التي اتخذها له مظهرا ومزارا[1].والدليل على ذلك قوله تعالى:﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ الزمر: ٣

فهؤلاء يتصورون أنهم لا يستطيعون أن يعبدوا الله تعالى بشكل مباشر لذلك جعلوا هذه الأشياء رمزا أو واسطة لعبادتهم، معتقدين أن هذه الأشياء هي المظهر الإلهي، وان الله تعالى يتجلى فيها .

(١) – ينظر: الدين ، محمد عبد الله درار ، مركز المتابعة والتقويم والإشراف العلمي ، بيروت (د–ت):٣١ .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقين، وخاتم النبيين، سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار بنهجه إلى يوم الدين .

أما بعد:

احمد الله تعالى الذي وفقني على إتمام هذا البحث المتواضع والذي تناولتُ فيه اثر الفطرة الإنسانية في معرفة الله تعالى، فمن خلال كتابتي للبحث توصلت إلى عدة أمور منها ما يلي:-

١- إن منشأ الدين أمر فطري، جبلت عليه النفس البشرية، ولذلك نرى أن البشر، ومنذ أقدم العصور يتوجهون إلى الله سبحانه، بالعبادة .

٢- أن معنى قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ الروم: ٣٠ ، هو الإسلام إذ هو دين الفطرة .

٣- فطرة الإنسان فطرة سوية سليمة وهي في ذاتها منة من الله على المؤمنين فهي تهيئة من الله للإيمان وليست للكفر بل هي لا تقبل إلا الأيمان بالله الواحد وترفض الكفر والشرك .

٤- إن الأيمان أساس الفضائل، وان أحسن الناس إسلاما أحسنهم خلقاً .

٥- إن هناك حقوق دعت إليها الفطرة، هي: حقوق الله تعالى، حق النبي – صلى الله عليه وسلم –، والالتزام بالكتاب والسنة .

هذا ما توصلت إليه من خلال كتابتي للبحث اسأل الله تعالى ان يوفقني بما قلت وبما كتبت انه وليّ ذلك والقادر عليه .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، (ت ٢٠٤ ه)، جمعه الإمام أبو بكر احمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي النيسابوري، (ت ٤٥٨ هـ)، عرف الكتاب وكتب تقدمنه: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، (ت ١٣٧١ هـ) حققه: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥ م .

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد ألعمادي، (ت ٩٨٢ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د . ت) .

٣. أساس البلاغة، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، (ت ٥٣٨ هـ)، تحقيق: عبد الرحيم محمود، مطبعة أورفاند بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٣ م، وهي طبعة مصورة، على طبعة دار الكتب المصرية، التي طبعت سنة ١٣٤١ هـ .

٤. أنوار التنزيل وإسرار التأويل، المعروف بتفسير البيضاوي، لأبي سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي الشافعي، (ت ٦٨٥ هـ)، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

٥. آيات الأمن في القرآن الكريم – دراسة وتحليل – عبد السلام داود سويدان الكبيسي، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية في جامعة بغداد ١٤١٩ ه – ١٩٩٨ م .

٦. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المؤلف جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر ابو بكر الجزائري، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، الجزء الرابع ن ص ١٠١ .

٧. تاج العروس من جواهر القاموس، محي الدين أبو الفضل محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي الزبيدي، (ت ١٢٠٥ ه) .

٨. تحديات من القرن الحادي والعشرين في ضوء فقه الفطرة، فتحي يكن، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .

٩. تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المبار كفوري، (١٢٨٣ – ١٣٥٣ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د . ت) .

١٠. التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف، (ت ٨١٦ هـ)، تحقيق: إبراهيم الابياري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥ هـ .

١١. تفسير القرن العظيم المسمى بتفسير ابن كثير، لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر كثير القرشي الدمشقي، (ت ٧٧٤ هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠١ هـ .

١٢. تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ١، مصدر الكتاب موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .

١٣. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرءوف المنأوي، (ت ١٠٣١ هـ)، تحقيق: د . محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر – بيروت، ١٤١٠ هـ .

١٤. الجامع لإحكام القرآن، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجى القرطبي، (ت ٦٧١ هـ)، تحقيق: احمد عبد العليم البردوني، الطبعة الثانية، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ .

١٥. الدر المأثور في التأويل بالمأثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، مصدر الكتاب: موقع تفسير http:/www.eltaf.s.s.l-com .

١٦. الدين، محمد عبد الله دراز، مركز المتابعة والتقويم والإشراف العلمي، بيروت، (د . ت) .

١٧. ديوان عنترة بن شداد العبسي، تحقيق: محمد سعيد مولوي المكتب الإسلامي، دمشق، (د . ت) .

١٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الثناء شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله الالوسي البغدادي، (١٢٧٠ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت،(د . ت).

١٩. زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي، (ت ٥٩٧ هـ)، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٤ هـ – ١٩٩٠ م .

٢٠. سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي، (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق: احمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د . ت) .

٢١. شعب الإيمان، أبو بكر احمد بن الحسين البيهقي، (ت ٤٥٨ هـ) تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠ هـ .

٢٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ ه) تحقيق: احمد عبد الغفور عطا، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .

٢٣. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، (ت ٢٥٦ هـ) تحقيق: د . مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

٢٤. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،

٢٥. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥ ه) تحقيق: د . مهدي المخزومي، ود . إبراهيم السامرائي، بغداد، الطبعة الأولى، طبعت الأجزاء من سنة ١٩٨٠ إلى ١٩٨٥ م .

٢٦. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد ابن علي بن محمد الشوكاني، (ت ١٢٥٠ هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، (د . ت) .

٢٧. الفطرة في الإسلام، أطروحة مقدمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

٢٨. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري، (ت ٧١١ هـ)، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٦٨ م .

٢٩. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، (ت ٧٢١ هـ)، تحقيق: محمود خاطر، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م .

٣٠. مختصر التفسير للبغوي، المؤلف عبد الله بن احمد بن علي الزيد، الطبعة الأولى، نشر دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، تاريخ النشر ١٤١٦ هـ، مصدر الكتاب:H H P / w w w at – islam – com

٣١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، احمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، (ت ٧٧٠ هـ)، تصحيح: مصطفى السقا، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى ألبابي الحلبي، مصر، ١٣٢٢ هـ .

٣٢. معالم التنزيل المعروف بـ (تفسير البغوي)، لأبي محمد الحسين ابن مسعود الفراء البغوي، (ت ٥١٦ هـ)، تحقيق: خالد العك، ومروان سوار، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

٣٣. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن احمد بن فارس بن زكريا، (ت ٣٥٩ هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، (د . ت) .

٣٤. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم بن حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت ٥٠٢ هـ) أعده للنشر واشرف على الطبع: د . محمد احمد خلف الله، مكتبة الانجلو المصرية (د . ت) .

٣٥. منهج حماية العقيدة الإسلامية، عبد الغني حيد فارع، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية في جامعة بغداد، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .

٣٦. النزعة الدينية بين الالهيين والماديين، فاضل الموسوي الجابري، سلسلة المعارف الإسلامية، إصدار مركز المتابعة والتقويم والإشراف العلمي، بيروت، (د . ت) .

٣٧. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات مجد الدين بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير، (ت ٦٣٠ هـ)، تحقيق: طاهر احمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، الطبعة الأولى المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م .